www.saehlib.com

Saeh Bookstor
Tripol-Libanon-rahebat st.
Tel 00961 6 431549
Fax 00961 6 448189

مكتبة السائح
لبنان طرابلس - شارع الراهبات
هاتف : 00961 6 431549
فاكس: 00961 6 448189

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܒ̈ܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܝܬ ܠܡܦܩ̈ܐ
ܘܢܓܪܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܘܠܚܡܐ ܘܡܟܪܐ ܕܢܬܡܗ ܢܦܠ ܐܘ
ܠܝܬ ܠܗ ܫܘܒܩܐ ܥܠ ܕܢܦܫ ܗܘܐ ܠܗ ܫܘܒܩܐ ܠܝܬ
ܥܕܡܐ ܕܟܬܒܐ ܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܆

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

قداسة الحبر الأعظم مار اغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق الرئيس الأعلى للكنيسة
السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع

مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم

ܡܪܝ ܡܠܛܝܘܣ ܪܒܐ ܣܘܪܝܝܐ

موسى أنطاكية

الإهداء

إلى روح المثلث الرحمات

القديس مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني

العظيم

أُهدي هذا الكتاب

وأقول

أسقف المنافي أنت وسراج الإيمان

يا شِراع النجاة في سفينة السريان

الطبعة الأولى

خصص ريعه لأبرشية الموصل للسريان الأرثوذكس
وتوابعها

مكتبة السائح
طرابلس - لبنان - شارع الراهبات
هاتف: ٤٣١٥٤٩ ٦ ٠٠٩٦١
فاكس: ٤٤٨١٨٩ ٦ ٠٠٩٦١

الفهرس

المقدمة 9

كنيسة أنطاكية السريانية بين عامي 330_360م 13

مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم 19

نفي مار ملاطيوس العظيم في الشهر الأول لرسامته 25

عودة مار ملاطيوس العظيم من المنفى

كنيسة أنطاكية عند عودة مار ملاطيوس العظيم من المنفى 37

الأزمة الأنطاكية والبابا أثناسيوس الاسكندري 45

مار ملاطيوس العظيم والبابا أثناسيوس الاسكندري

أسباب موقف أثناسيوس الاسكندري من مار ملاطيوس العظيم

النفي الثاني والثالث لمار ملاطيوس العظيم 61

مار ملاطيوس العظيم يَقود الكنيسة وهو في المنفى

مار ملاطيوس العظيم وبطرس بابا الاسكندرية

مقطع من رسالة مار باسليوس الكبير الى اوسابيوس السمسياطي

عودة مار ملاطيوس العظيم الأخيرة من المنفى 79

استقبال الرسل، مجمع أنطاكية سنة 379م

الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير والمسيحية 87

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة 381م 89

أسباب انعقاد المجمع، آباء المجمع

مار ملاطيوس العظيم يتوّج الإمبراطور في الحلم 97

مار ملاطيوس العظيم رئيساً لمجمع القسطنطينية الثاني 99

قوانين مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة 381م

وفاة القديس مار ملاطيوس العظيم اثناء انعقاد المجمع 106

كلمة غريغوريوس النوسي في تأبين مار ملاطيوس العظيم 111

أسباب خلاف أنطاكية مع روما والاسكندرية 125

مار ملاطيوس العظيم يفرض نفسه على العالم بعد الموت 133

أبناء القديس مار ملاطيوس العظيم

قصيدة لمار ملاطيوس العظيم، موفق نيسكو 141

صلاة للقديس مار ملاطيوس العظيم 143

الخاتمة 145

المصادر 149

المقدمة

القديس مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم هذا القديس الذي عاش وقاد الكنيسة في فترة تاريخية مهمة جداً من تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية وهي فترة الانشقاق الداخلي، تلك الفترة التي أصبح في كنيسة أنطاكية عدة فرق متناحرة والتي تُسمّى بالأزمة الأنطاكية، هذا القديس الذي نُفيّ ثلاث أو اربع مرات، ومن غربته في المنفى استطاع بإيمانه ان يقود سفينة الكنيسة إلى ساحل النجاة، فكان بحق شراعها الأمين.

لم يواجه أي بطريرك في تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية التحديات والمصاعب التي واجهها القديس الجليل مار ملاطيوس، فبالإضافة إلى وضع الانشقاق الداخلي المعقد لكنيسته آنذاك ووجوده في المنفى، فقد تخلى عنه حتى الأصدقاء من الكنائس الرسولية الأخرى في روما والاسكندرية، بل ساهموا في زيادة مشاكله وتحميله اعباءاً اخرى وذلك بمعارضتهم له دائماً وخلق المتاعب له وعدم الاستجابة بالدخول معه في الشْركة الكنسية، ولكن وبالرغم من كل هذه الأعباء، وكما استطاع موسى تحرير شعبه من العبودية وقيادتهم إلى بر الأمان، هكذا استطاع مار ملاطيوس العظيم بقداسته وحكمته وعلمه ان يقود رعيته وسط هذه العواصف القوية من المشاكل والانقسامات الشديدة إلى

الاستقرار ويجمع شمل المؤمنين تحت سقف الكنيسة الأم ليكون بحق وجدارة "موسى أنطاكية".

لقد ارتبط اسم القديس مار ملاطيوس بمجمع القسطنطينية المسكوني (العالمي) الثاني المنعقد سنة 381م، الذي ترأسه هو ليكمّل بذلك نضال وجهاد سلفه البطريرك القديس مار أسطثاوس السرياني رئيس مجمع نيقية المسكوني الأول سنة 325م، فكان بحق أروع خلف لخير سلف، وقد سقط فجأة شهيداً في بهرة المجمع أمام اخوته وابنائه في الايمان وبحضور الامبراطور ثيودوسيوس الكبير، ليتسابق الآباء في تأبينه، بل لتصبح تلك الكلمات أنشودة تتغنى بها الأجيال إذ لا زالت الكثير من تلك الكلمات والجمل والعبارات التي وردت، مستعملة من قبل الآباء في تأبين الأساقفة إلى يومنا هذا، واستمر الآباء في رثائه لعشرات السنين بعد وفاته، وقالوا عنه ان به زاد عدد الرسل، ووصفوه بان أنوار الروح القدس تتلألأ على محياه، ولقد أجبرني القديس مار ملاطيوس العظيم ومن خلال سيرته وتلك الكلمات التي قرأتها في تأبينه ان أقول بعض الأبيات الشعرية بحقه والتي بلا شك انه يستحقُ اكثر منها بكثير.

لم يترك لنا القديس مار ملاطيوس كتاباً في التاريخ أو اللاهوت أو الفلسفة، لكنه ترك لنا اسماً لامعاً في التاريخ في اكثر من مئة كتابٍ وكتاب، ترك لنا القاباً كثيرة يؤّلف من كل لقب منها

كتاب، فقلما تجد اسم هذا القديس في الكتب التاريخية غير مقروناً بلقب مثل العظيم، الشريف، النبيل، الجليل، وغيرها.

ترك لنا مار ملاطيوس العظيم جيلاً من الأساقفة واللاهوتيين العظام الذين كانوا تلاميذه والذي اهتم هو بتنشئتهم ليدافعوا عن الايمان، وفعلاً فقد لعب هؤلاء دَوراً مهماً في تاريخ الكنيسة وأغنوا المسيحية بمئات الكتب والمقالات مثل باسليوس الكبير، غريغوريوس النوسي، غريغوريوس النزينزي، يوحنا الذهبي الفم وغيرهم، بل ان في عهد مار ملاطيوس بالذات تبلّورت الفلسفة المسيحية والكلمات اللاهوتيّة بعد جدل طويل لتأخذ صيَغها النهائية وإلى اليوم، وعليه فان حياة وسيرة مار ملاطيوس هي ليست سيرة شخصية له فقط، بل هي سيرة تطور الفكر المسيحي والفلسفة اللاهوتيّة، لذلك وكما سنرى ان الكثير من هذه المسائل قد اقترنت بسيرته مثل تحديد معنى الأقنوم والجوهر أو المساواة، وغيرها، لان هذه الأمور لم تكن جزءاً صغيراً أو ثانوياً من المشاكل التي عانى منها مار ملاطيوس آنذاك، بل كانت هي المشاكل الرئيسية بعينها والتي بدورها كانت هي السبب في الخلافات والمشاكل الإدارية، علماً اننا قد اختصرنا كثيراً وقدر المستطاع الخوض في الأمور والمسائل اللاهوتيّة والتركيز عليها إلاّ ما كان ضرورياً للقارئ الكريم لمعرفة سيرة حياة هذا القديس العظيم وتضحيته وجهاده من اجل الرب وكنيسته المجيدة.

وفي هذه الصفحات التالية نقدم سيرة حيـــاة القـــديس مـــار ملاطيوس العظيم بطريرك الكنسية الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية (360_381م) الذي كان مثالاً صادقاً للأحبار القديسين الـــذين نذروا حياهم لخدمة الكنيسة والرعية من المؤمنين، خاتمـــاً حياتـــه لأجلهم ليقول مع الرسول بولس "جاهدتُ الجهاد الحسن أكملتُ السعي حفظتُ الايمان". (2تي4:7).

المؤلف موفق نيسكو

كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية
بين عامي330_360م

بعد انتهاء اعمال مجمع نيقية المسكوني (العالمي) الأول سنة 325م الذي ترأسه البطريرك الأنطاكي القديس مار أسطثاوس السرياني والذي عُقد بسبب بدعة وهرطقة آريوس كاهن الاسكندرية (256_336م) الذي ادعى ان المسيح (كلمة الله) مخلوق وقد خلقه الآب في أول خلائقه، لذلك فالمسيح الابن ليس إله وهو اقل من الآب، وهو ابن الله بالتبني....الخ.

تمّ حَرم ونفي آريوس المبتدع وبعض مناصريه ثم سنّ المجمع قانون نيقية أو دستور الايمان المسيحي الذي بدؤه: نؤمن بإله واحد الآب الضابط الكل....إلى عبارة، وليس لملكه انقضاء، وكان مجمع نيقية قد نجح في دحض البدعة الآريوسية لكن النزاع والجدل حول العقيدة المسيحية لم يحسم بشكل نهائي وقاطع، إذ امتدت الأفكار الآريوسية وتشعبت في كنائس الشرق وخاصة في أنطاكية والاسكندرية وبالذات في أنطاكية وإلى حد اقل في كنيسة روما الغربية ايضاً، إذ ان الآريوسيين الباقين والذين كانوا كثيرين وأقوياء لم يسكتوا، بل استطاعوا الوشاية لدى الامبراطور قسطنطين الأول والتأثير عليه فتمكنوا من نفي البطريرك الأنطاكي القديس مار أسطثاوس السرياني سنة 330م.

دخلت الكنيسة الأنطاكية مرحلة فوضى واضـطراب وأزمـة داخلية شديدة هي الأقوى في تاريخها الطويل والتي تسمّى "الأزمـة الأنطاكية" خاصة بعد وفاة الامبراطور الروماني قـسطنطين الأول سنة337م، الذي وبالرغم من مواقفه المتقلبة أحياناً، فقد خـسرت الأرثوذكسية بوفاته أحد أهم المدافعين عنها وعن دسـتور ايمانهـا النيقاوي، وهكذا بقيت الأزمة الأنطاكية إلى عـام 381م تـاريخ انعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني حيث حُسمت بشكل شبه نهائي، واستمرت بعض ذيول الأزمة إلى عام 412م، أي إلى عهد البطريرك الأنطاكي السرياني الكسندروس الذي وحّد صفوف جميع الأرثوذكسيين في أنطاكية بعد الشقاق المؤلم وانتهت المشكلة نهائياً.

كان الشعب الأنطاكي منقسم إلى فريقين، فريـق أرثوذكـسي نيقاوي، وفريق آريوسي، الفريق الأرثوذكسي النيقاوي كان مـن اتباع البطريرك مار أسـطثاوس الـسرياني وسُـمّي فيمـا بعـد الأسطثاويين، وكان هذا الفريق يعتبر كل من لا يسير على نهجـه ويلتزم بقرارات وقانون مجمع نيقية هو آريوسي الصبغة ويجـب ان تُقطع الشْركة معه، وكان يرأسه الكـاهن بـولينس لأن معظـم الأساقفة الارثوذكسيين كانوا منفيين ومشتتين، وهذا الفريق بالرغم من قلة افراد كان له وزن معنوي داخل أنطاكية وخارجها، إذ كان يسانده بعض الأساقفة المرموقين في كل من روما والاسكندرية.

أمّا الفريق الثاني الآريوسي فكان فيه عدة اجنحة وشيع تتفاوت اقوالها بين الاعتدال والتطرف، وعموماً كان الآريوسيون جناحين، جناح معتدل نوعاً ما يسمى (نصف آريوسي) كان يعرف وطـأة الآريوسيين ويحذر منها، لكنه لم ينفصل عن الكنيـسة الأنطاكيـة خشية التشرذم والتفرقة، وجناح متطرف لا يعترف بمجمع نيقيـة وقوانينه ويتمسك بأفكار آريوس وهرطقته، ناهيك عن وجود بعض الشيع الصغيرة لعقائد مسيحية اخرى، فكان الأمر ملتبـساً علـى اغلب الشعب للتميّز بين الأساقفة.

وعموماً فان الآريوسيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي بعد خسارتهم في مجمع نيقية بل تنفسوا الصعداء وشكّلوا شيّعاً قويـة في منـاطق أنطاكية، وعاثوا في الكراسي الأسقفية فساداً واستهتاراً وأحـدثوا بلبلة كبيرة، ومما ساعد في زيادة البلبلة هو وضـع الامبراطوريـة الرومانية الجديد، فبعد موت الامبراطور قـسطنطين الأول خَلفـهُ اولاده الثلاثة (قسطنطين الثاني توفي 340م، قُسطانس ت 350م، وقسطنطيوس ت361م) وتقاسموا المملكة والحكم فيما بينهم[1]،

---

[1] دائماً يَحصل خلط باسمائهم في المصادر التاريخية نتيجة لتقاربها، وقد حاولنا ترجمـة اسمائهم حرفيّاً من اللاتينية، والمهم ان قسطنطيوس اخذ الشرق ثم بعد وفاة اخويه اصبح الامبراطور الوحيد، وتسميه المصادر التاريخية السريانية الأرثوذكسية قسطنس.

و لم يكن هؤلاء الاخوة على وفاق سياسي فيما بينهم كما كان لكل منهم رأيه الخاص في العقيدة، ناهيك عن الحكام المحليين المـرتبطين بهم أو من جاء بعدهم، فكان قسم من الأباطرة أو الحكام يميلـون للأرثوذكس، وآخرون ميالين لآريوس وأفكاره، وقسم آخر كانوا وثنيون، وفي نفس الوقت لم يكن هـؤلاء مهـتمين أو مـتفقهين بالقضايا اللاهوتيّة اصلاً أو حريصين على الايمان إلاّ ما ندر، لأنهم كانوا رجال سياسة همهم الوحيد هو الاستقرار السياسي في البلاد لا شيء آخر، لذلك فان اغلب الأحيان كان تدخلـهم في امـور الكنيسة هو لمصلحة شخصية أو فائدة سياسية، إمّا لمساندة حاكم محلي هنا أو دعم أسقف أو صديق هنـاك للاحتفـاظ بالـسيطرة والنفوذ حتى ان قسماً منهم كان يتأثر بآراء زوجته أو المحيطين بهم.

فكان الآريوسيون يعزلون الأساقفة وينفوهم ويعينون أساقفة من قِبلهمْ بدون انتخاب وبدون أي مرجعية، ويبدّلون الأساقفة مـتى شاءوا، حتى ان كثيراً من الأساقفة لم يكن يبقى في أبرشيته اكثر من سنتين أو ثلاثة بل عدة اشهر في بعض الأحيان، وأحياناً اخرى كان يتم تعين اكثر من أسقف للأبرشية الواحدة، وكانوا يستولون على الكراسي الأسقفية الأرثوذكسية بالقوة كلما سنحت لهم الفرصـة بذلك ولم يَسلم كرسي البطريرك الأنطاكي الرسولي من ذلك، ففي سنة 330م تم عزل ونفي القديس مار أسطثاوس السرياني بطريرك

أنطاكية الأرثوذكسي، واغتصب الآريوسيون الكرسي الأنطاكي وعيّنوا عليه بالتوالي سبعة بطاركة آريوسيين دخلاء هم:

(1) اولاليوس 331_333م (2) اوفرينيوس 333_334م
(3) قلاقيليوس334_342م (4) اسطيفانس342_344م
(5) لانطينوس344_358م (6) اودوكسيوس358_359م
(7) انيناس 360م [1].

واستمرت الفوضى في الكرسي الأنطاكي إلى ان اعتلى البطريرك القديس مار ملاطيوس السرياني العظيم سنة 360م عرش الكرسي الرسولي الأنطاكي، والذي ناضل وجاهد في هذه الظروف الصعبة لتثبيت الايمان وتوحيد صفوف المؤمنين الأرثوذكس، واختار في معاملة الآريوسيين طريقة حَثهُم فيها على إصلاح السيرة والتمسك بالفضيلة وأعمال البر والتقوى، لعلّهُ عندما تستقيم سيرهم يستقيم ايمانهم ايضاً.

---

[1] لا تعتبر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية هؤلاء البطاركة شرعيين لذلك لا تدرج اسمائهم في سلسلة بطاركتها، ولهذا فان البطريرك مار أسطثاوس (324_330م) يحمل الرقم ثلاثة وعشرون يليه مار ملاطيوس (360_381م) ويحمل الرقم اربعة وعشرون.

مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم [1]

يعتبر القديس مار ملاطيوس الأنطاكي العظيم من البطاركة العظام والأجلاّء في تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الطويل وخاصة في القرن الرابع الميلادي، وأحد الذين زيّنوا الكرسي الأنطاكي بفضائلهم السامية ورفعوا شأن الكنيسة بجهادهم الرسولي وتمسكهم بالايمان والمعتقد المستقيم، ولشدة قداسته قال عنه القديس غريغوريوس النوسي ان به زاد عدد الرسل.

هذا القديس العظيم الذي أحبه السريان الأنطاكيون حباً لا مثيل له فحاز على أقدس وأجمل الألقاب في تاريخ الكنيسة مثل: العظيم، الكبير، الشريف، النبيل، الشهيد، الجليل بين القديسين، أبو الآباء، موسى أنطاكية، السراج المنير، الخ، ومن شدة حبهم له كانوا يسمّون اولادهم باسمه، وكانوا ينقشون اسمه على الخواتم والأختان ويرسمون صورته على جدران الغرف والقاعات لكي يستمتعوا بمشاهدة طابعه الجسدي في كل مكان، وكان الشعب يُجبره على

---

[1] يرد اسمه في المصادر التاريخية بعدة صيغ مثل، ملاتيوس، ميلتس، وغيرها، لكننا نستعمل صيغة اسمه وأسماء الأساقفة الآخرين بالعربية والتي ترد في الكتاب وفقاً لمصادر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وينطبق هذا على تواريخ رسامة أو وفاة الأساقفة ايضاً.

ان يصلي له خارج المدينة في العراء عندما استولى الآريوسيون على الكنائس ولم يبقى للأرثوذكسيين كنيسة يصلون فيها [1].

ولد مار ملاطيوس سنة 325م في مدينة ملطية (جنوب شرق تركيا اليوم) عاصمة مقاطعة أرمينيا الصغرى آنذاك لعائلة ثرية مرموقة، وكانت عائلته تُعتبر من نبلاء وأشراف الأُسر في تلك المدينة، وكانت أكرمهم جاهاً وأصدقهم ايماناً، وسمّي ملاطيوس ومعناه (العسلي أو المتأمل).

ترعرع ملاطيوس في كنف الأسرة لوالدين عُرفا بالتقوى وربياه على محبة الله والكنيسة فنما على الفضيلة والايمان، وبالرغم من ان أسرته كانت غنية وتعيش برغد، لكنه اتخذ الصوم والصلاة والحياة البسيطة والمتواضعة مسلكاً له في الحياة منذ فترة شبابه ودرس العلوم الدينية منذ طفولته ثم تخرج من مدرسة أنطاكية اللاهوتيّة حيث نال من علومها الدينية قسطاً كبيراً، بعدها انتظم في سلك الاكليروس (رجال الدين) في بلدته ملطية، ومنذ صباه عُرف عنه بين اصدقائه ومعارفه بأنه كان على خلق كريم، وديعاً، بشوشاً، متواضعاً، هادئ

---

[1] العلاّمة والمؤرخ اليوناني خريسوستمس بابا دوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، تعريب الأسقف استفانس حداد ص192.

الطبع، طيب المعاشرة، محباً للسلام طبقاً لمعنى اسمه الذي يعني العسلي أو المتأمل، لا يفارق أو يعادي أحد حتى وان فارقوه أو عادوّه الآخرين، وصفه القديس غريغوريوس اللاهوتي "بالتقي والوديع المتواضع القلب الذي تتلألأ أنوار الروح القدس على محياه" وقال عنه القديس يوحنا الذهبي الفم: "ان مجرد التطلع اليه كان يبعث الفرح في النفس ويحرك الفضيلة".

رُسِمَ مار ملاطيوس أسقفاً لأبرشية مدينة سبسطية أرمينيا سنة 358م خلفاً لأسقفها اوسطاثيوس (غير أسطثاوس البطريرك) الذي عَزلهُ مجمع أنطاكي محلي لأنه مال إلى الآريوسيين، وقد قَبلَ الشعب الأرثوذكسي في المدينة برسامته أسقفاً لهم، ووافق الآريوسيون ايضاً على رسامته ظنّاً منهم انه قد يصبح حليفهم في الآريوسية فيما بعد لأنه كان هادئاً ومحباً للسلام ويسعى لوفاق الجميع، ولكن عندما لاحظ الآريوسيون ان مار ملاطيوس هو أرثوذكسي الايمان والمعتقد، أبدوا انقساماً وعصياناً عليه خاصة من قبل مناصري الأسقف السابق اوسطاثيوس المعزول الذي كان له حزباً قوياً في المدينة يعادي مار ملاطيوس ويخلق له المشاكل دائماً، فلم يستطيع مار ملاطيوس البقاء في مدينة سبسطية بصورة دائمة واضطّر إلى مغادرة المدينة والإقامة في مدينة حلب معتكفاً على الصوم والصلاة والعبادة ومطالعة الكتب المقدسة، وقيل انه لجأ إلى أحد الأديرة.

كانت خلوة مار ملاطيوس ونسكه هي تدبير رباني بعناية فائقة لاستلام المهمة الكبرى، فلم تمضى سوى فترة قصيرة حتى ذاع صيته وحسن سلوكه وانتشرت فضائله الايمانية، وفي سنة 360م وعلى اثر فراغ كرسي أنطاكية الرسولي بانتقال البطريرك الآريوسي اودوكسيوس الدخيل عليها اصلاً إلى كرسي القسطنطينية [1]، اتفق الجميع واتجهت أنظار الفرقاء من أرثوذكسيين وآريوسيين اليه لكي يتبوأ العرش الرسولي ويدفن بحكمته وإدارته الشقاق القائم في كنيسة أنطاكية والذي أقلق الكنيسة والشعب لفترة طويلة، أي ان الطرفان دعموه معاً، فالأرثوذكسيين كانوا مسرورين جداً لأنهم كانوا يعرفون فضيلته واستقامة رأيه، والآريوسيين لم يكونوا متأكدين من إيمانه بعد، لكنهم كانوا آملين اسوة بأقرانهم آريوسيي مدينة سبسطية سابقاً ان يساند افكارهم وتوجهاتهم مستقبلاً، فاستُدعي مار ملاطيوس من مدينة حلب والتأم مجمع أساقفة الكرسي الأنطاكي بأمر من الامبراطور قسطنطيوس (337_361م) وبحضوره شخصياً [2]، وذلك في شتاء سنة

---

[1] بعد اودوكسيوس رَسمَ الآريوسيون انيناس، ثم اعتبروا رسامته غير قانونية فعزلوه.

[2] ابن قسطنطين الأول الكبير، توفي بمرضه في تشرين الثاني سنة361م، وقبل ان يموت عمّدهُ البطريرك الآريوسي الدخيل افذيوس المصري.

361،360م، وتم انتخاب مار ملاطيوس بالإجماع بطريركاً للكرسي الرسولي الأنطاكي وتسليمه عكاز الرعاية، وكتب ووقّع الجميع صك الانتخاب وأودعوه عند القديس اوسابيوس أسقف مدينة سميساط الذي كان مشهوراً بعفته وأمانته ليحتفظ به دفعاً لأي اعتراض مستقبلاً، وفرح الامبراطور والجميع بانتخابه آملين ان ينجو الكرسي الأنطاكي الرسولي من الفرقة والشقاق، وبأمر من الامبراطور جاء الأساقفة من حلب والمناطق القريبة إلى مدينة أنطاكية، حيث خرج سكان المدينة بأسرها، واستقبلوه بالإكرام والزغاريد والتهليل، وأجلسوه على كرسي بطرس الرسول (الكرسي الأنطاكي)، وبذلك استعاد الأرثوذكسيون الكرسي الرسولي بعد 30 سنة من استيلاء الآريوسيون عليه، وهو البطريرك الرابع والعشرون في سلسلة بطاركة كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية الشرعيين.

نفي مار ملاطيوس العظيم في الشهر الأول لرسامته

عندما أُنتخب مار ملاطيوس كـــان الامبراطـــور قـــسطنطيوس حاضراً، وكان بين الحضور ايضاً اكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين وجارجيوس أسقف الاسكندرية، وكان هؤلاء الثلاثـــة ذو ميـــول آريوسية متفاوتة في وقت كانت رياح الآريوسية الناكرة لإلوهيـــة الابن تنتشر في كل مكان، فتحاشى مار ملاطيوس الخوض في امور العقيدة واللاهوت في تلك الظروف المعقدة لان كل طائفة كانـــت تدعي انه منها ولها، أمّا هو فأراد ان يكون للجميع، اراد ان يجمـــع بين قلوب تلك الرعية المنقسمة لأنه جاء ليقرب لا ليفـــرق، جـــاء ليضمد الجراح لا ليزيدها، فتحدّث في عظته اثناء الانتخاب بأمور ايمانية بحتة وكذلك تحدّث عن جمال الفضيلة وبشاعة الرذيلة وأكّد إصلاح النفس والأخلاق.

وبعد ايام قليلة وفي إحدى الجلسات مع الامبراطور قسطنطيوس بحضور مار ملاطيوس واكاكيوس وجارجيوس وكبار الشخصيات، طلب الامبراطور من الأساقفة الثلاثة ان يفسروا له معنى آية كتابية من سفر الأمثال اعتاد الآريوسيون الاستشهاد بها زوراً لدعم وتبرير قولهم بأن الابن مخلـــوق وهـــي:"الـــرب قنـــاني أول طريقـــه"

(أمثال8:22)، والقصد من السؤال كان هو إحراج مار ملاطيوس لمعرفة ايمانه، فتحدث جارجيوس أولاً وشرح الآية بأسلوب آريوسي واضح، تلاه اكاكيوس الذي اكتفى بالتحدث عنها بشكل فلسفي مبهم وبنكهة آريوسية واكتفى بالعموميات فقط، وأمّا جواب مار ملاطيوس فكان واضحاً وصريحاً ليس فيه خوف ولا تردد ولا مساومة، فاعترف وأعلن ايمانه بالثالوث الأقدس وبأن المسيح الكلمة هو ابن الله وإله من إله وواحد من واحد وان الابن مساو للآب ولإلوهيته، لكنه شرح الآية بذكاء قل نظيره وبفصاحة ومهارة رائعة أبهرت الحاضرين، معبراً عن المعتقد المستقيم الصحيح ومتجنباً في الوقت نفسه استعمال المصطلحات العقائدية التقنية مثل، أقنوم جوهر، أو مساواة، التي كانت موضوع الخصومة والمشاكل آنذاك قائلاً:

نحن نعترف بأن ابن الله إله من إله، واحد من واحد، ابن اللامُدرك الوحيد، وليد من والده، ابن الله الذي لا بدء له ولا مبدّأ، لسان حال الله، كلمة وحكمة وقوة ذاك الذي هو فوق كل حكمة وقوة، الوليد الكامل للكائن الكامل، من الآب خرج لا بفيض ولا انفصال ولا انشقاق بل انبثق من دون تحول، هو الكلمة وندعوه الابن من دون ان نتصور انه صوت الآب ولفضته، لان له كيان خاص، به كان كل شيء.

وأثناء كلام مار ملاطيوس قفز رئيس الشمامسة الآريوسي الذي كان حاضراً بسرعة نحو مار ملاطيوس مقاطعاً كلامه ثم وضع يديه على فمه محاولاً إسكاته بالقوة، فرفع مار ملاطيوس يده نحو الحاضرين وأبرز اصابعه الثلاثة أولاً (الإبهام، الخنصر، والوسطى) ثم أبرز اصبعاً واحداً فقط (السبابة) قائلاً بطريقة رمزية (هكذا نعرف الثلاثة بأنهم واحد) وهي الحقيقة الايمانية العقائدية (المساواة)، أي إله واحد في ثلاثة أقانيم هي الآب والابن والروح القدس [1]، وفي النهاية حثّ سامعيه على التماس الرضى الإلهي عوضاً عن الخوض في التنظير، ولما انتهى من كلامه هتف الحضور للخطيب الفصيح وحيّاه لقوة كلامه واستقامة تعليمه.

الأرثوذكسيون هللوا لكلامه، أمّا الآريوسيين فصُعقوا وخابت آمالهم و لم يقبلوا بعظتهِ، ويعلّق غريغوريوس النزينزي على دهاء مار ملاطيوس وحكمته قائلاً: ليس بمقدور الجميع التكلم على الله، بل فقط أولئك الذين اكتسبوا هذه الكفاءة بتقدمهم في طريق الكمال.

انزعج الامبراطور قسطنطيوس ذو النزعة الآريوسية كما غَضبَ جارجيوس أسقف الاسكندرية الآريوسي ايضاً، أمّا الأسقف

---

[1] ميخائيل بريك، الحقائق الوفيّة في تاريخ بطاركة الكنيسة الأنطاكية ص63.

اكاكيوس النصف آريوسي فلم تعجبه عبارات مار ملاطيوس لأنها أظهرت أرثوذكسيته بشكل واضح، وأدرك الآريوسيون انـــه مـــن أتباع ايمان نيقية وممن يرفضون تعاليمهم الشنيعة وبدعهم الغريبـــة، وشعروا بأنهم قد أخطئوا خطأً كبيراً بانتخابهم له، والواقع ان مـــار ملاطيوس كان يماشي الجميع بذكائه وعلمه قدر الإمكان في تلـــك الفترة من الانقسامات الشديدة بغية جمع شمل المؤمنين تحت سقف واحد وسحب البساط من تحت أقدام الآريوسيين شأنه شأن بقيـــة الأساقفة الأرثوذكسيين آنذاك مثل أثناسيوس الاسكندري وغـــيره كما سنرى لاحقاً، والدليل على ذلك انه لم يقدم أيـــة بـــراهين أو دلائل أو ضمانات لصالح اكاكيوس، ولكن لمكانة وشخصية مـــار ملاطيوس القوية كان اكاكيوس وغيره يعتبروه من مناصريهم أو انه سيناصرهم فيما بعد، فقد كان مار ملاطيوس منذ بداية حياته وإلى مماته أرثوذكسياً حقيقياً وهذا ما يؤكده القديس مـــار باســـيليوس الكبير الذي اعتبره نيقاوياً كاملاً، ويرى العلامة كافاليرا في كتابـــه "انشقاق أنطاكية" ان مار ملاطيوس كان منذ البدء وظـــلّ حـــتى النهاية أرثوذكسياً لا غشّ فيه.

عندما اكتشف اكاكيوس وغيره أرثوذكسية مار ملاطيوس تخلّوا عنه وحاربوه واخذوا يسعون إلى نَفيّه، وبدءوا يراقبـــون تحركاتـــه وأحاديثه وأسلوبه واحتجّوا على بعض إجراءاته الإدارية، وأخـــيراً

طلبوا من الامبراطور قسطنطيوس عزله وإبعاده، فنهض الشعب كله ضد هذا النفي، لكن الامبراطور نفاه إلى أرمينيا في آخر الشهر الأول من دخوله أنطاكية بطريركاً بذلك الاستقبال الرائع، فأتى إلى مار ملاطيوس حاكم المدينة وطلب منه ان يرافقه في عربته لكي يرسله إلى المنفى، وفي ساحة المدينة احتشد الشعب المحب له رافضاً ان يؤخذ بطريركهم منهم، وانهالوا على الحاكم بالحجارة، فغطى مار ملاطيوس الحاكم بجبّته (بردائه) وحجبه عنهم وقد علّق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه الحادثة بقوله: إذ أربَكَ مار ملاطيوس خصومه بصلاحه الفائق على هذا النحو، فقد علّمنا أي صبر يجدر بنا التحلي به حيال من يضطهدنا.

وبعد نفي القديس مار ملاطيوس عيّنَ الآريوسيون مكانه افذيوس وهو مصري الأصل وآريوسي قديم كان البابا الكسندروس الاسكندري قد حرمه سابقاً ونزع عنه رتبته الكنسية، وقد وصف القديس يوحنا الذهبي الفم في إحدى عظاته سنة 386م ذلك الشهر المبارك وكيف استطاع مار ملاطيوس خلال شهر واحد فقط من كسب قلوب الشعب قائلاً:

ما كاد مار ملاطيوس يصل إلى المدينة حتى نفاه اعداء الحقيقة منها (أي الآريوسيين) والله قد سمح بذلك ليبيّن فضيلة هذا الرجل في انه خلال إقامته في أنطاكية كان مثل موسى في مصر، خَلَصَ

المدينة من ضلالات الهرطقة وقطع عن بقية الجسد الأعضاء الميئوس منها وردّ للكنيسة عافيتها، وإذ لم يُطقْ اعداء الحقيقة هذا الاصلاح، نفوا القديس معتقدين انهم بذلك انتصروا على الحق ومحو الاصلاحات المعمولة، ولكن حدث عكس ما ارادوا، ففي اقل من ثلاثين يوما ثّبتهم بقوة في الايمان بالرغم من شتى الرياح التي نُفختْ، ومنذ ذلك بقيت تعاليمه و لم تتزعزع، وانتم قبلتم بفرح البذار الذي نثره في نفوسكم وإنّ جذوره تغلغلت إلى اعماقكم [1].

أمّا الآريوسيين فلم يكتفوا بذلك بل طالبوا الامبراطور بتمزيق صك الانتخاب البطريركي لمار ملاطيوس والموجود عند اوسابيوس السميساطي، فأوفد الامبراطور رسولاً إلى اوسابيوس ليأتيه بالصك، لكن اوسابيوس امتنع عن إعطاء صك الانتخاب قائلاً: بما ان المجمع الأنطاكي قد ائتمنني على الصك فلن أُعطيه إلاّ إذا انعقد المجمع مرة اخرى وطلبه مني، وعندما رجع الرسول إلى وأبلغ الامبراطور بذلك، اتّقدَ غضباً وأمره بالعودة اليه مرة ثانية واخذ الصك منه، وإذا امتنع عن ذلك فليقطع يده اليمنى ويأخذه بالقوة، فعاد الرسول إلى اوسابيوس وأبلغه قرار الامبراطور، فبسط الأسقف اوسابيوس

---

[1] الأرشمندريت توما بيطار، سير القديسين ج3ص78.

السميساطي يديه الاثنتين قائلاً: انه لخير لي ان تُقطع يديَّ الاثنتين من ان أخون ضميري وأخون رجل الله مار ملاطيوس واُسلّمك الصك، وإذ كان الرسول تقياً وخائفاً لله لم يقطع يده، بل عاد إلى الامبراطور وأبلغه بما جرى، فدُهش الامبراطور قسطنطيوس لشجاعة اوسابيوس السميساطي وأثنى عليه وغض النظر عن الصك، لكنه نفاه إلى تراقيا إحدى مقاطعات الروم بالقرب من القسطنطينية [1].

عودة مار ملاطيوس العظيم من المنفى

في سنة 361م توفي الامبراطور قسطنطيوس وخلفه في الحكم الامبراطور يوليانوس الملقب بالجاحد (361_363م) الذي كان وثنياً، فأمر بعودة الأساقفة الذين نفاهم سَلفه الامبراطور قسطنطيوس إلى اوطانهم وذلك اعتقاداً منه بان ذلك سوف يزيد الشقاق والتناحر بين المسيحيين أولاً، ولغرض السيطرة عليهم وتصفيتهم إذا دعت الحاجة ثانياً، فعاد مار ملاطيوس من منفاه في أرمينيا في ربيع سنة 362م وكذلك عاد اوسابيوس السميساطي

---

[1] تقع تراقيا في جنوب شرق البلقان، وتجاورها ثلاثة بحار، الأسود، إيجة، وبحر مرمرة، وتتقاسمها، بلغاريا، اليونان، وتركيا في جزئها الأوربي.

(الذي رفض تسليم صك الانتخاب) مع بقية الأساقفة الأرثوذكسيين الأنطاكيين من منفاهم واضطر مار ملاطيوس البقاء خارج مدينة أنطاكية (المدينة القديمة) وحولها، حيث لم يبقى لرعيته سوى كنيسة الرسل والقديسين وهي كنيسة صغيرة في البلدة القديمة، لاستحواذ الآريوسيين على اغلب الكنائس داخل المدينة آنذاك، وكان الشعب يُجبره ان يصلي لهم في العراء، أمّا الأسقف اوسابيوس السميساطي فمكث في كنيسة صغيرة داخل المدينة.

عندما عاد مار ملاطيوس من المنفى وجد وضع رعيته مشتت، فتألم قلبه الرسولي وبكى على ما وصلت اليه كنيسة أنطاكية من التفكك والانشقاق، فاخذ يسعى بكل قواه لإعادة الطمأنينة إلى النفوس، وحاول الامتداد صوب جميع المؤمنين المسيحيين وخاصة جناح الأسطثاويين بزعامة الكاهن بولينس من اجل تعزيز موقف الأرثوذكس تجاه الهراطقة والآريوسيين لان تقاربهم يقويهم بوجه خصومهم الآخرين، لكنهم صدّوه ولم يتعاونوا معه، فسكت القديس لكي لا يجرح المحبة الأخوية، واخذ يرعى شعبه الموكل اليه ويلملم شتاته وينفخ فيه روح الثبات لمواجهة الضغوط الوثنية الجديدة التي نمّاها وعمل على إزكائها الامبراطور الوثني يوليانوس بالقوة والعنف، فبالرغم من قلة فترة حكم هذا الامبراطور، فقد قام بقتل المسيحيين وسجنهم وتعذيبهم وإثقال الجزية عليهم وإحراق

الكنائس وإقامة هياكل وثنية محلها ورسم صور وثنية داخل الكنائس الباقية، لدرجة ان كتب القديس مار أفرام السرياني (303_373م) في أحد مداريشه قائلاً: "لا تصل في هيكل فيه تمثال" ولذلك لُقّبَ يوليانوس بالجاحد، ومن شدة اضطهاده للمسيحيين لُقّبَ بالمسيح الدجّال، ففي أحد الأيام دنا منه أسقف خلقيدونية "ماريوس" الذي كان قد بلغ من العمر عتيا وكان بصره قد ضعف فقال له يوليانوس: ألاَ يشفيك إلهك الجليلي(هكذا كان يصف يوليانوس السيد المسيح)، فأجابه ماريوس: اشكر الله الذي أعماني لكي لا أرى وجهك أيها الجاحد الذي لا إله لهُ [1].

لكن من المفارقات الغريبة ان هذا الاضطهاد قد ساعد على تراجع وتقهقر الآريوسية حيث انضمّ كثيراً من الآريوسيين إلى الأرثوذكسية، أمّا بالنسبة إلى الوثنية فقد بدأت تنهار أمام المسيحية برغم كل ما قام به يوليانوس لتقويتها، ففي أحد ايام أعياد الوثنيين حضر يوليانوس الجاحد إلى مدينة دفنه (9 كم عن أنطاكية) وكان لكاهن هيكل دفنة الوثني ابن له خادمة مسيحية تربّيه، وعندما توفيت الأم بقي الولد يتردد إلى مربيته ويسمع منها عن المسيحية،

---

[1] تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبيرج1 ص204.

فوعدته بالعماد لان الشاب كان قد لاحظ النجاسات التي تقترن بالوثنية، ولما اراد أبوه اخذه إلى الاحتفال الوثني في المدينة هرب وذهب عند المرّبية واخذ أبوه يبحث عنه، فخافت المربيّة من وجوده عندها وأخذته إلى مار ملاطيوس، فأمرها بالتريّث، وعندها وجده أبوه فأمسكه وضربه وقيده بالسلاسل وزجه في السجن، وذهب الوالد لحضور الاحتفال، أمّا الشاب فدعا باسم السيد المسيح في سجنه، فأشتدّ ساعده وحطم الأغلال ولما اراد فتح باب السجن صلّى ايضاً فتحطمت اقفال الباب، وتوجه إلى مربيته التي ألبسته ثياباً نسائية وأخذته إلى مار ملاطيوس فعمّده وسلّمه إلى الأسقف كيرلس الأورشلمي وبقي هناك إلى ان مات يوليانوس الجاحد، ثم رجع الشاب إلى أنطاكية وهدى والده إلى الايمان، واستغل الوثنيون وجود يوليانوس الجاحد وطلبوا منه ان يأمر بنقل رفات القديس البطريرك السرياني بابولا الشهيد من الكنيسة التي فيها ضريحه في دفنة لأنها تقع بالقرب من هيكلهم الوثني الذي يحوي تمثال ابولون (من صنع النحات الشهير فرياكس) ولأن المسيحيين يزعجوهم دائماً بإقامة الصلوات في هذه الكنيسة، فأمر يوليانوس الجاحد بإبعاد الرفات الشريف إلى مدينة أنطاكية، فتجتمع في 22 تشرين الأول سنة 362م الآف المسيحيين في دفنة وشكّلوا تظاهرة كبيرة يتقدمهم مار ملاطيوس، ونقلوا الرفات الشريف وهم يرنمون على طول الطريق 9 كم من دفنة إلى أنطاكية المزمور97:7 "لِيُخزَى

كل عابدي تمثال منحوت، المفتخرين بالأصــنام" ووضــع مــار ملاطيوس الرفات بكل إجلال في إحدى كنائس أنطاكية، وفي تلك الليلة ضربة صاعقة قوية التمثال فأحرقته، فاعتبر يوليانس الجاحد ان ذلك بسبب القديس بابولا الشهيد فأمر بإغلاق الكنيسة التي وضع فيها الضريح في أنطاكية، وقبل ان يذهب إلى حرب الفرس التي ما رجع بعدها! دنّس الرفات الشريف انتقاماً من أنطاكية والمسيحية، ثم بعد سنين عديدة وفي سنة 378م أعاد مار ملاطيوس رفــات القديس بابولا إلى دفنة وبنى كنيسة فاخرة للضريح علــى الــضفة اليمنى من نهر العاص على هيئة صليب تسمى كنيــسة القوســية، ووضع الرفات في تابوت نُحت على قطعة من الحجر، كما عَمل له هو ايضاً مكان ليدفن إلى جانب رفات الشهيد بابولا عند موتــه، وكان مار ملاطيوس يعمل بيده احياناً مع الشعب في البناء، ويذكر ان القــديس بــابولا الــشهيد بطريــرك أنطاكيــة الــسرياني (237_251م) كان قد دُفن في أنطاكية، وفي سنة 351م قــام غاليوس اخو يوليانوس بنقل رفاته من أنطاكية إلى مدينة دفنة، فشيّد المسيحيون كنيسة على ضريحه الذي صار يجترح العجائب ومنــها سكوت الصنم الذي كان يأتي منه اصوات شيطانية لإغراء الوثنيين.

وثمة من يقول ان الأشرار من الآريوسيين والوثنيين سعوا لنفــي مار ملاطيوس مرة اخرى وذلك بالوشاية لدى يوليانوس بأنه مقاوماً

لسياسة الامبراطور فأمر بنفيه (لكن هذا غير مؤكّد)[1].

ومهما يكن من الأمر فما هي إلاّ فترة قليلة (سنة تقريبا)، ففي 26 حزيران 363م هلك الامبراطور الوثني يوليانوس الجاحد في إحدى معاركه مع الفرس وخلفه في الحكم الامبراطور جوفيانوس (363_364م) الذي كان مسيحياً أرثوذكسياً معتدلاً، فدخل مار ملاطيوس إلى كرسيه الأنطاكي واستقبلته رعيّتهُ استقبالاً مهيباً.

ونشط الأرثوذكسيون في هذه الفترة وتحرك مار ملاطيوس لتدعيم موقفه وإضعاف الهراطقة، فدعا إلى عقد مجمع مقدس محلّي على غرار مجمع الاسكندرية سنة 362م لجمع المؤمنين وليعيد السلام إلى الكنيسة ويبلسم الجراح، فتمّ عقد مجمع أنطاكي سنة 363م حضره اكثر من خمسة وعشرون أسقفاً[2]، كما استطاع مار ملاطيوس في هذه الفترة القصيرة من بناء كنيسة لرعيته في أنطاكية التي كانت مشتتة مستغلاً الهدوء الذي تمتعت فيه الكنيسة في عهد الامبراطور جوفيانوس.

---

[1] حسب ميخائيل عساف، سنكسار الروم الكاثوليك ص624، ان يوليانوس نَفاهُ.

[2] نظراً لعلاقة هذا المجمع بمجمع الاسكندرية، لهذا سنتكلم عنهما في فصل لاحق معاً.

كنيسة أنطاكية السريانية عند عودة مار ملاطيوس العظيم من المنفى

عندما نُفيّ البطريرك مار ملاطيوس إلى أرمينيا، تم تعيين افذيوس المصري الآريوسي بطريركاً لأنطاكية بدلاً منه من قبل الآريوسيين ففرح الآريوسيون كثيراً، لكن فرحتهم لم تدم طويلا بل صارت وبالاً عليهم، فما هي إلاّ أيام وينشق كثير من المؤمنين عن الكنيسة الرسمية التي كان يسيطر عليها الآريوسيون رافضين الاعتراف بافذيوس بطريركاً عليهم وكوّنوا جماعة صلبة متماسكة سميت بالملاطيّن (الملاطيوسيين) معترفين بمار ملاطيوس بطريركاً لهم وبذلك استطاع هذا القديس وهو في المنفى ان يكون عنصر وحدة للمؤمنين، وعندما عاد مار ملاطيوس من المنفى وجد على الساحة الأنطاكية عدة فرق وأجنحة من المؤمنين اهمهم فريقان هما:

1: الأرثوذكسيون بجناحيهم، جناح الملاطيين نسبة إلى مار ملاطيوس الذي استقطب الغالبية منهم، وجناح الأسطثاويين نسبة إلى البطريرك مار أسطثاوس السرياني (324_337م) الذي ترأس مجمع نيقية سنة 325م، وكانوا هؤلاء بزعامة الكاهن بولينس والذين بالرغم من قلة عددهم لكنهم كانوا ذو وزن معنوي ومكانة محترمة بين الآخرين.

2 : الآريوسيون بجناحيهم جناح الذين اعترفوا بافـــذيوس وقـــد اصبحوا قلة بعدما انضمّ كثير منهم إلى الأرثوذكسيين معترفين بمار ملاطيوس كما ذكرنا، وجناح آخر اقل عدداً واشد تطرفاً بزعامـــة ثيوفليس الهندي، ثم انشق كل جناح منهم بدوره إلى عدة فروع.

وبالنسبة للأرثوذكسيين، كانت المشكلة بين الجناحين هـــي ان الأسطثاويين كانوا متمسكين جداً بقوانين مجمع نيقية و لم يكونـــوا قد تأكدوا تماماً من أرثوذكسية مار ملاطيوس، لـــذلك فـــانهم لم يشتركوا برسامته واعتبروا أن رسامته قد تَمّتْ من قبل الآريوسيين، أي ان الصورة لم تكن واضحة لديهم، ويعود هذا لسببين:

السبب الأول: هو انه منذ عام 330م وعلى اثر نفي البطريـــرك مار أسطثاوس السرياني، تعرض الأرثوذكسيين لاضطهاد من قبـــل الآريوسيين، ومن شدة حرصهم على ايمانهم جعلـــهم يتخوفـــون وينعزلون في كنيسة صغيرة داخل مدينة أنطاكية، كما يقول المؤرخ سقراط ويسمّون الأسطثاويين، وقد بقيت علاقاتهم قوية مع أساقفة أنطاكية الأرثوذكسيين المشهورين فقط وهم قلة لان غالبتيهم كانوا مشردين ومنفيين، وبذلك لم يبقى للاسطثاويين حتى أسقفاً أنطاكياً يثقون به ليستشيروه أو ليمثّلهم في اتخاذ القرار بل كـــانوا برئاســـة الكاهن بولينس، لذلك كانوا حَذرين جدا من اتخاذ القرار بـــشان مار ملاطيوس والانضمام تحت رئاسته، لاسيما ان مار ملاطيوس لم

يبقى سوى شهر واحد في أنطاكية ثم نُفيّ، عوضاً عن انه لم يكن من مدينة أنطاكية سابقاً لكي يعرفوه ويقيّموا افكاره وايمانه.

والسبب الثاني: هو ان الكاهن بولينس الذي كان يتزعم جناح الأسطثاويين، فعلى الرغم من انه كان أرثوذكسياً حقيقياً وغيوراً على الايمان، لكن كان لديه شيء من الكبرياء، عوضاً عن ان معلوماته اللاهوتيّة والعقائدية كانت محدودة حول القضايا التي كانت موضع الخلاف والجدل آنذاك، إذ انه لم يكن يميّز بين الجوهر والأقنوم، بل كان يعتبرهما متساويان، وهذا ما كان يُفسّر احياناً بان الله أقنوم واحد، ولهذا السبب وغيره، فان الأسطثاويين اعتقدوا بان مار ملاطيوس كان قد ماشى الأسقف اكاكيوس النصف آريوسي وساند بعض افكاره في هذا المجال إمّا في أثناء انعقاد مجمع سلوقيا سنة 359م أو بعد انعقاد المجمع بقليل، والحقيقة هي ان جناحي الفريق الأرثوذكسي الأنطاكي من الأسطثاويين والملاطيين كانوا يعبّرون عن ايمانهم بطريقتين مختلفتين في الشكل لكنهما متطابقتين في المضمون، فالأسطثاويون كانوا يستعملون صيغة الأقنوم الواحد للآب والابن والروح القدس قاصدين بمعنى أقنوم (جوهر) الإله، أمّا الملاطيون فكانوا يستعملون صيغة الإله الواحد في ثلاثة أقانيم، وللزيادة في توضيح مشاكل الأزمة الأنطاكية التي عايشها وعانى منها مار ملاطيوس نقول:

لقد استخدم آباء مجمع نيقية في قانون الايمان المصطلح اليوناني "هومواوسيوس Homooucios" أي المساوي في الجوهر، ليثبتوا بهذا المصطلح ان الآب والابن هما من جوهر واحد، ثم اراد الآباء ان يؤكدوا اكثر على وحدانية الآب والابن تحسباً من تلاعب الآريوسيون وغيرهم بالكلمات مستقبلاً، فأضافوا نصاً بعد قانون الايمان قالوا فيه "ان الابن ليس من هيبوستاسيس آخر Hypostasis" وهذه الكلمة كانت هي مشكلة الأرثوذكسيين فيما بينهم، إذ ان معناها اليوناني هو أقنوم بينما معناها الروماني هو جوهر(Substantia سوبستانسيا)، وبذلك يكون معنى النص باليوناني (ليس من أقنوم آخر)، أمّا بالروماني (ليس من جوهر آخر)، ويبدو ان هذا النص المضاف كان على الأرجح من صياغة اسيوس أسقف قرطبة الغربي الذي كانت لغته الأم هي اللاتينية (الرومانية)، ونظراً لقلة كلمات اللغة اللاتينية مقارنة باليونانية حصلت هذه المشكلة، لان هناك كلمة اخرى باليونانية هي "اوسيا" Oucia التي تعني حرفيا جوهر.

وباختصار لم يكن فرق جوهري بين الأرثوذكسيين، فالذين قالوا "الهيبوستاسيس ثلاثة" كانوا يقصدون الثلاثة أقانيم الموجودة حقاً، وهم الملاطيين، أمّا الذين قالوا "الهيبوستاسيس الواحد" فكانوا يقصدون جوهر الإله الواحد، وهم الأسطثاويين.

أمّا بالنسبة للآريوسيين فكان الخلاف اقوى مع الأرثوذكسيين من جهة، وفيما بينهم من جهة اخرى، وعلى كل الكلمات وكالاتي:

1 : الآريوسيون المعتدلون أو انصاف الآريوسيين: كانوا يتظاهرون بان الآب والابن واحد، ولكن عَملياً كانوا يميّزون بين جوهر الآب وجوهر الابن بطرق لغوية ملتوية، فبدلاً من استعمال كلمة هوموأوسيوس Homooucios التي تعني مساو للآب في الجوهر، استعملوا كلمة هوميوأوسيوس Homoioucios التي تعني مماثل للآب في الجوهر (بزيادة i)، وكان هؤلاء الآريوسيون يُسمّونَ "هوميوأوسيين" بينما سُمّي الأرثوذكس "هوموأوسيين".

2 : الآريوسيون المتشددون الأنوميون Anomios (اللامتشابهة): كانوا من ألد اعداء مجمع نيقية اذ مثلوا الآريوسية في اقصى تطرفها حيث تشددوا في الفصل بين الآب والابن بدرجة اكبر زاعمين ان جوهري الآب والابن لم يكونا شبيهين بل نقيضين تماماً، فجوهر الله يكمن في عدم الولادة، أمّا جوهر الابن فهو مولود، ومن شدة تطرفهم ولكي يؤكدوا تمييزهم للآب وحده دون الابن، اعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسه واحدة فقط بدلاً من ثلاثة غطسات.

3: الأُوميون (الشبيهين): وهؤلاء قالوا ان الابن مشابه للآب في الجوهر (أوميوس Omoios أى شبيه)، ولم يكن لهؤلاء لاهوتهم

الخاص بل بحسب الظروف كانوا ينحازون لفريق أو لآخر، وقد أدى ذلك إلى ظهور قسم آخر منهم قالوا ان الابن مشابه للآب في المشيئة، وكان اكاكيوس القيصري منهم ويسموّن الاكاكيوسيين.

والحقيقة التاريخية المطلقة ان هذه المشاكل وهذه الصيغ وغيرها قد حُسمت آنذاك وبشكل نهائي في تاريخ المسيحية كلها وإلى اليوم من قبل آباء الكنيسة الأنطاكية السريانية ابناء البطريرك مار ملاطيوس، وهم الآباء القديسون الكبادوكيون الثلاثة: (باسليوس الكبير، ساعد مار ملاطيوس الأيمن، غريغوريوس النوسي، صاحب احلى الرسائل والتفسيرات العقائدية، وغريغوريوس النزينزي، الملقّب باللاهوتي، ورابعهم يوحنا الذهبي الفم الواعظ الفصيح)، حيث كان لهؤلاء الآباء وحدهم الفضل في التوسع اكثر في تفسير المصطلحات اللاهوتيّة وحل جميع الإشكالات، ومنذ ذلك الوقت فُتح الباب أمام الجميع من الآريوسيين وغيرهم وفي كل الكنائس (أنطاكية، روما، والاسكندرية) إذ ان الغالبية عادوا وانضموا إلى اتباع مجمع نيقية وقبلوا بمبدأ (المساواة في الجوهر).

كان هذا هو الوضع في كنيسة أنطاكية بالنسبة للأساقفة واللاهوتيين والفِرق المسيحية، أمّا بالنسبة للشعب فحدث ولا حرج، فلكثرة الأفكار والمناقشات بين الأساقفة واللاهوتيين، استهوت جموع الشعب المسائل العقائدية واحتلت حيزاً كبيراً في

حياهم اليومية واخذوا يرددونها على شكل اغاني احياناً، وأصبح الجدل يسيطر على عقول الناس لدرجة وصفها القديس غريغوريوس النوسي وصفاً لا يخلو من الطرافة قائلاً:

والجميع في الشوارع والأسواق وفي الساحات وعند مفترق الطرق يتكلّمون بما ما لا يفقهون، فان سألت أحداً من الباعة: كم هو ثمن هذه السلعة؟ أجابك: هو مولود أو غير مولود، وإذا سألت عن ثمن الخبز أجابوك: ان الآب أعظم من الابن، أمّا إن سألت احدهم: هل الحمام جاهز؟ سمعت جواباً: ان الابن جاء من العدم.

كان هذا وضع كنيسة أنطاكية المعقّد الذي وجده البطريرك مار ملاطيوس عند عودته من المنفى.

الأزمة الأنطاكية والبابا أثناسيوس الاسكندري

كان البابا أثناسيوس الاسكندري (295_373م) قد رجع هو ايضاً من المنفى في 21 شباط سنة 362م إلى الاسكندرية أي قبل عودة مار ملاطيوس إلى أنطاكية بشهرين تقريباً، كما رجع ايضاً عدد من الأساقفة الأرثوذكسيين المصريين المنفيين، وعندما رجع أثناسيوس وجد ان وضع الكنيسة متأزم بصورة عامة في كل الكنائس بسبب مشاكل الآريوسيين وخاصة في أنطاكية بسبب الشقاق وكذلك في الاسكندرية إلى حد اقل، أمّا روما فكانت المشكلة فيها قليلة جداً، وكانت افكار أثناسيوس سابقاً وقبل ان يُنفى قريبة من افكار الأسطثاويين والغربيين الذين خلطوا معاني الكلمات اللاهوتيّة، وصارماً وحازماً في تفسير حرفية معاني الكلمات اللاهوتيّة، لكنه عندما عاد من المنفى وتخلص من الضغط السياسي القوي، لاحظ ان معظم الأساقفة الباقين في الاسكندرية وغيرها كانوا قد سايروا الآريوسيين كرهاً أو طوعاً، فسعى أثناسيوس بيقظة وانفتاح اكثر ليجد حلاً للمشاكل اللغوية المتعلقة باللاهوت ودعا إلى عقد مجمع في الاسكندرية سنة 362م حضره اكثر من عشرون أسقفاً معظمهم من الأساقفة المصريين وخاصة الذين كانوا مضطهدين ومنفيين، كما حضر المجمع عدد من الأساقفة الغربيين من كنيسة روما الذين يؤمنون بمجمع نيقية

ومبادئه مثل اوسابيوس الايطالي أسقف فركيلية ولوسيفروس السرديني أسقف كاجلياري وغيرهم [1]، واضطر أثناسيوس والمجمع إلى ان يعتدلوا مع الآريوسيين ويتفهموا الظروف التي اكرهت زملائهم على إهمال دستور نيقية والقول به [2]، ولكن ما يثير الاستغراب ان أثناسيوس دعا من كنيسة أنطاكية الكاهن بولينس رئيس جناح الأسطثاويين الأرثوذكس واستريوس أسقف البتراء السرياني فقط، لكنه لم يدعو البطريرك الشرعي مار ملاطيوس لحضور المجمع، ويبدو ان أثناسيوس قد دعا من أنطاكية اصدقائه أو المتعاطفين معه فقط، فقد كان بولينس وجماعته على علاقة قوية معه وقد توطدت صداقتهما عندما مرّ أثناسيوس بأنطاكية سنة 345م فأقام الذبيحة الإلهية عندهم، وعندما طلب الامبراطور قسطنطيوس من أثناسيوس في حينها ان يعطي للآريوسيين كنيسة في الاسكندرية، وافق على ذلك على شرط ان يعطي الآريوسيون كنيسة للكاهن بولينس وجماعته الأسطثاويين في أنطاكية، لكن الآريوسيون رفضوا ذلك قائلين: ما لنا في الاسكندرية ولا لكم في

---

[1] بعض المصادر تذكر ان لوسيفروس لم يحضر بل أرسل شماسين من قبله، لكن المعول عليه انه قد حضر في البداية ثم غادر المجمع، لان رسالة المجمع النهائية تحمل اسمه.

[2] أسد رستم كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ج1 ص241.

أنطاكية، أمّا استريوس أسقف البتراء فقد كان احد الذين ساهموا في مساندة وتبرئة أثناسيوس في مجمع سرديقيا سنة 343م ولهذا السبب نُفي استريوس إلى مصر بعد ذلك [1]، وما يثير الاستغراب اكثر ان مجمع الاسكندرية حرر رسالة سلامية خطية (كتاب) إلى الأساقفة الأنطاكيين موجّهة إلى بولينس لا إلى مار ملاطيوس، ولم يذكروا فيها اسم مار ملاطيوس اصلاً وهو البطريرك الشرعي لأنطاكية الذي يمثل غالبية الأرثوذكس والذي تحمّل مشقة النفي لأجل الايمان [2]، والأكثر من ذلك انهم طلبوا في رسالتهم من بولينس وجماعته ان يتعاملوا مع الملاطيين وكأنهم فئة نصف آريوسية داعين الأسطثاويين بزعامة بولينس الكاهن إلى قبول مار ملاطيوس وجماعته قبول الآباء لابنائهم وكمعلمين لهم مع العلم ان مجمع الاسكندرية هذا قرر قبول الأساقفة الآريوسيين في الكنيسة شرط الاعتراف بالأخطاء والتنازل عن الأسقفية، أمّا بالنسبة للآخرين (النصف آريوسيين) فقرر المجمع قبولهم في الكنيسة مع الاحتفاظ برتبهم وكراسيهم الأسقفية شرط الاعتراف بمقررات مجمع نيقية،

---

[1] سويريوس يعقوب توما (البطريرك بعدئذٍ)، تاريخ كنيسة أنطاكية السريانية ج1 ص230.

[2] رستم ص242.

ولان الرسالة طويلة وتتضمن امور عقائدية وغيرها، فاننا سنقتصر على ما جاء فيها بخصوص الأزمة الأنطاكية وعلاقة الرسالة وأثناسيوس بمار ملاطيوس، حيث تبدءا الرسالة بتوجيه التحية للأساقفة المجتمعين بالأسماء وهم أكثر من عشرون أسقفاً، ثم تتحدث عن الأزمة الأنطاكية فتقول:

لقد رغبنا نحن المصريون مع اخوينا العزيزين اوسابيوس واستريوس في المجيء إلى طرفكم (إلى أنطاكية)، لأسباب عديدة، وبادئ ذي بدء للتمتع بهذين السلام والوئام الذين تكلمنا عليهما، لكن حاجات الكنيسة تمنعنا، وهذا ما يؤلمنا حقاً، كما اشرنا اليه في رسائل اخرى وكما سيخبركم زميلانا في الخدمة، وأردنا مع ذلك ان يذهب زميلانا استريوس واوسابيوس لملاقاتكم من قبلنا، ونحن نشكر تقواهما، لأنه كان عليهما الإسراع في الرجوع إلى أبرشيتيهما، لكنهما فضّلا قبل كل شيء الذهاب اليكم امتثالاً لرغبتنا، آخذين بعين الاعتبار حاجة الكنيسة الملحّة، وأملنا بما انهما حاضران، فنحن ايضاً حاضرون.

ادعوا كل الذين يرغبون في العيش في سلام معنا، وخصوصاً أولئك الذين يجتمعون في المدينة القديمة (المقصود مار ملاطيوس وجماعته) وكل الذين ارتدّوا من الآريوسية، واقبلوهم قبول الآباء لابنائهم! افتحوا لهم الذّراعين كمعلمين وكدعامات، اشتركوا في

غضون ذلك مع عزيزنا (بولينس) وزملائه ولا تستلزموا منهم اكثر من إدانة الهرطقة الآريوسية والاعتراف بايمان الآباء في مجمع نيقية.

ثم تقول الرسالة: ولأننا نفرح مع أولئك الذين يريدون الاتحاد بنا، وبخاصة أولئك الذين يجتمعون في المدينة القديمة، ويجب ألاّ يقترح الذين مع بولينس اموراً اخرى إلاّ ما كان في مراسيم نيقية، وجاء في خاتمة الرسالة: يسلم عليكم الاخوة الذين معي، تصرفوا كما يليق، وصلّوا من اجلنا عند الرب، سنوقع نحن، انا أثناسيوس وكذلك أساقفة المجمع الآخرون، ولوسيفورس أسقف جزيرة سردينا، والشماسان هيرينيوس واغابيتوس، ومن قبل جماعة بولينس الشماسان كاليميروس ومكسيموس، وكان بعض الرهبان حاضرين من قبل الأسقف ابوليناريوس لهذا الغرض [1].

وقرر المجمع إرسال الرسالة (الكتاب) بيد الأسقفين استريوس أسقف بترا الأنطاكي واوسابيوس الايطالي وكلفوهما ان يذهبا إلى أنطاكية بصحبة لوسيفورس السرديني لكي يحاولوا إصلاح الانشقاق في أنطاكية خاصة بين الملاطيين والأسطثاويين، لكن ما

---

[1] الأبوان ميشال أبرص وأنطوان عرب، المجمع المسكوني الثاني القسطنطينية الأول، نص الرسالة كاملاً ص357_362.

زاد الطين بلّة هو ان لوسيفروس كان متــهوراً جــداً، فجــاء إلى أنطاكية بسرعة قبل وصول المبعوثين من مجمــع الاســكندرية إلى الأنطاكيين، وما ان وطئت قدماه أنطاكية حــتى رســم الكــاهن بولينس بطريركاً لجماعة الأسطثاويين غير ملتفت إلى مار ملاطيوس البطريرك الشرعي أو حتى الاتصال به، وعندما وصــل اســتريوس واسابيوس الايطالي مبعوثا أثناسيوس حامِلا الرسالة إلى الأنطاكيين، تفاجئا من عمل لوسيفروس فلم يعترفا بهذه الرســامة ورجعــا إلى ديارهما، لكنهما لم يعترضا عليه أو حتى يلوماه على فعلته هذه [1]، بل ان اوسابيوس عندما عاد إلى أبرشيته اصطحب معــه الــشاب افاغاريوس الذي سيخلف بولينس فيما بعد (388_393م)، وبهذا العمل اصبح للأرثوذكس في أنطاكية بطريركان، مار ملاطيــوس البطريرك الشرعي وبولينس بطريرك الأسطثاويين الغــير شــرعي، إضافة لوجود بطريرك ثالث للآريوسيين هو افذيوس المصري.

---

[1] كان لوسيفورس متعصب جداً لا يقبل بأي حل يعارض قناعته الشخصية، وعندما لاحظ ان مجمع الاسكندرية متساهل مع الآريوسيين نوعاً ما، غضب وغادر المجمع إلى أنطاكية ليصب نار غضبه فيها، لأنه كان يعارض مار ملاطيوس وتسامحه ولهذا رَســمَ الكاهن بولينس، وهذا سبب آخر يؤكد حضوره المجمع، ومن شدة تطرفه انشقّ فيمــا بعد عن الكنيسة وأنشأ مذهباً خاصاً به سميّ اتباعه اللوسيفريين.

لا شكّ ان هذه الأمور حمّلت مار ملاطيوس اعباءاً اخرى كان في غنى عنها، فبدل ان يساهم مجمع الاسكندرية في حل الأزمة، فانه عقّدها اكثر، وما هي إلاّ فترة قليلة ويهلك يوليانوس الجاحد ليخلفه الامبراطور جوفيانوس الأرثوذكسي، فيتنفس الأرثوذكسيون طعم الحرية والسلام حيث استغل الظروف مار ملاطيوس ودعا بدوره إلى عقد مجمع في أنطاكية على غرار مجمع الاسكندرية للنظر في امر العقيدة لكي ينهي الخلاف ويبلسم الجراح ويعيد السلام إلى الكنيسة، وكان قصده ايضاً ان يلبي النداء الذي اطلقه أثناسيوس بالرغم مما حدث، لأنه من المناسب قبول الأحداث الجديدة والسير في الطريق بقلب منفتح لخدمة كنيسة المسيح، فلبى الدعوة اكثر من عشرين أسقفاً منهم اوسابيوس السميساطي، وبيلاجيوس اللاذقي، وتيطس أسقف بصرى، وانطاليوس الحلبي، واسحق الأرمني، وغيرهم، كما لبى الدعوة ايضاً عدد من الأساقفة المحسوبين على انصاف الآريوسيين منهم اكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين، وعقد المجمع سنة 363م برئاسة مار ملاطيوس، وبعد مناقشات طويلة في تفسير التعابير اللاهوتيّة المختلف عليها، توصل الآباء إلى اتفاق فيما بينهم وقرروا قبول واعتماد النص النيقاوي كصيغة اساسية للإيمان خصوصاً عبارة (المساوي في الجوهر)، رافضين افكار الآريوسيين والأنوميين، ووجه مار ملاطيوس وآباء المجمع كالمعتاد رسالة إلى الامبراطور جوفيانوس يعلموه بذلك مُرفقين مع الرسالة نص ايمان

مجمع نيقية تأكيداً لقبول الآباء ومجمع أنطاكية بالايمان الصادر من مجمع نيقية، وهذا نص الرسالة:

إلى سيدنا الكُليّ الورع والحسن العبادة المنتصر اغسطينوس (لقب أباطرة الرومان) جوفيانوس، من مجمع الأساقفة الحاضرين في أنطاكية من اقاليم متعددة.

نحن نعرف جيداً أيها الامبراطور الحسن العبادة، ان تقواك وضعت كل قواك لتحقيق السلام والوفاق في الكنيسة أولاً، ولا نجهل انك تعتبر اساسياً ان تتم هذه الوحدة في الايمان الحق والقويم، لهذا نبلغ جلالتك حتى لا يُعتقد اننا نساند الذين يزيّفون العقيدة الحقيقية اننا نقبل ونحافظ على ايمان المجمع المقدس الذي انعقد منذ فترة في نيقية، أمّا في ما يخص الذين يظنون ان التعبير الموجود في النص هو غريب، أي (مساو للآب في الجوهر)، فقد فسره آباؤنا بصورة صحيحة وهو يعني ان الابن ولد من جوهر الآب وانه مشابه للآب في الجوهر، فلا يجوز الاعتقاد بآلام في الولادة غير الموصوفة وغير المدركة، ولا ان الآباء فهموا لفضة جوهر بحسب استعمال اليونانين، بل اتخذوها لدحض المقولة ان الابن مخلوق من العدم كما تجاسر آريوس وطرحه مُجدّفاً على المسيح، وكما يطرحه الأنوميون بلا خجل وبصورة أشد وقاحة وتهوراً لتدمير الوفاق في الكنيسة، لهذا فقد أضفنا على تقريرنا هذا نسخة ايمان

نيقية الذي نقبل به نحن ايضاً [1].

وبذلك استطاع مار ملاطيوس ان يثبت الايمان المستقيم ويلـــم شمل بعض الذين فرقتهم الكلمات ويعيدهم إلى الايمان الــصحيح، وينبذ كل تعليم غريب للآريوسيين والأنوميين وغيرهم.

وبالرغم من ان المجمع كان محلياً لكنه كان ذو مكانة ومصداقية كبيرة في مسيرة النزاع العقائدي اذ ان مار ملاطيوس لعـــب دوراً مهماً في كسب أساقفة مهمين كانوا محـــسوبين علـــى انـــصاف الآريوسيين مثل اكاكيوس وغيره، ولهذا فان اتباع بولينس تفاجئوا من نتائج المجمع ووجّهوا رسالة إلى المجمع مشكّكين في مـــصداقيته وإخلاص الأساقفة واتهموهم بالرياء [2]، وعندما استلم الامبراطور رسالة المجمع، فرح للنتيجة التي وصل اليها الأرثوذكس الأنطاكيين ورآها فرصة جيدة للتدخل في تعزيز المصالحة هناك ، فكتـــب إلى أثناسيوس يطلب منه الذهاب إلى أنطاكية في محاولة للمـــساهمة في إنهاء الشقاق وإجراء المصالحة، وفي نفس الوقت كان الامبراطـــور يسعى لجمع قطبي الكنيسة الرسوليين الأنطاكي والاسكندري.

---

[1] نص الرسالة، الأبوان ص363و362.

[2] تُنسب الرسالة احياناً لأثناسيوس الاسكندري وهذا خطأ، بل هي لجماعة بولينس.

مار ملاطيوس العظيم والبابا أثناسيوس الاسكندري

وصل أثناسيوس في تشرين الأول 363م إلى أنطاكية موفداً من قبل الامبراطور جوفيانوس، وحاول الاتصال بمار ملاطيوس داعيــا إياه إلى الشرْكة الكنسية [1]، لكن ونتيجة لعدم دعوة مار ملاطيوس وتجاهله في مجمع الاسكندرية سابقاً، ولصيغة الرسالة إلى الأنطاكيين وما آلت اليه الأمور من رسم بولينس أسقفاً غير شرعياً لأنطاكية، فان الأساقفة المحيطين بمار ملاطيوس لم يرق لهم علاقة أثناســيوس ببولينس واعتبروا ما حدث هو تقليلاً من شأنهم، وبالرغم مــن ان مار ملاطيوس كان مسالماً و لم يُعير لهذه المسائل اهميــة لان همــه الوحيد كان هو إطفاء نار الشقاق و لم شمــل المــؤمنين وتــضميد الجراح، لكنه تعرض لضغوط قوية من قبل حاشيته ومن الأســاقفة المحيطين به (باستثناء مار باسليوس الكبير)، فتباطأ مار ملاطيــوس وتردد قليلاً في بداية الأمر و لم يعطي جوابــاً ســريعاً وواضــحاً لأثناسيوس بقبول اللقاء معه، لكنه في نفس الوقت لم يرفض بــل

---

[1] الشرْكة الكنسية، معناها الاعتراف الكامل بعقيدة وإيمان الطرف الآخر وإمكانيــة اشتراك كهنة الطرفين معاً على المذبح في تقديم الذبيحة الإلهية, لكنها لا تعني الوحــدة الإدارية الكاملة بين الكنيستين أو الاتفاق في كل القضايا والمسائل، (أي ان لكل كنيسة استقلالها الخاص بها).

اعطى جواباً عابراً، فما كان من أثناسيوس الاسكندري إلاّ ان اعترف ببولينس بطريركاً لأنطاكية ودخل في شْركة كنسية معه وعاد إلى الاسكندرية، ومنذ تلك اللحظة انحازت كنيسة الاسكندرية القبطية لصالح الأسطثاويين على حساب مار ملاطيوس البطريرك الشرعي للكنيسة الأنطاكية السريانية، وبذلك تفاقم الشقاق اكثر في أنطاكية وازداد الأمر تعقيداً على تعقيد.

كان هذا التصرف غريباً من قبل أثناسيوس [1]، لأنه وعلى اثر هذا الاعتراف ونتيجة لحسن علاقة أثناسيوس بالغرب وخاصة مع البابا ليباريوس، ناهيك عن ان بولينس اصلاً كان قد رُسمَ من قبل أسقف غربي هو لوسيفورس، لهذا فقد اعترف أساقفة الغرب وقبرص بشرعية بولينس كبطريرك لأنطاكية أسوة بالبابا أثناسيوس الاسكندري، علماً ان أساقفة الشرق بالإجماع لم يعرفوا لأنطاكية بطريركاً شرعياً سوى القديس مار ملاطيوس.

وبالرغم من إن مار باسليوس الكبير كان من المتحمسين جداً للقاء مار ملاطيوس بأثناسيوس، حتى انه عاتب مار ملاطيوس في بداية الأمر لأنه اعتمد على مشورة بعض الأساقفة غير المناسبة في

---

[1] سويريوس يعقوب ص237و238. و اسحق ساكا، كنيستي السريانية ص145.

هذه الظروف و لم يلتقي بأثناسيوس، لكن غيرة مـــار باســـليوس الكبيرة على كنيستهُ الأنطاكية وحبهُ الشديد لبطريركهُ وتمسكه به، جعلته فيما بعد ان يكون المحامي والمدافع الأول عـــن حـــق مـــار ملاطيوس الشرعي في الكرسي الرسولي الأنطاكي وعـــن فـــضائله ومكانته السامية, فقد امتعض باسليوس من فتور الغـــربيين نتيجـــة لاعترافهم ببولينس وسمّى اعترافهم (تبدلاً في الشرْكة) [1]، كمـــا استغرب من موقف أثناسيوس الاسكندري ايضاً، وقد وجّه عـــدة رسائل إلى الأساقفة الغربيين يعاتبهم فيها ويتهمهم بجهل الحقائق في كنيسة أنطاكية والغطرسة في موقفهم منها بدل الـــسعي للوفـــاق وإطفاء نار الشقاق.

كما وجّه مار باسليوس رسالة إلى أثناســـيوس ايـــضاً بهـــذا الخصوص قائلاً له:

إنّ معالجة داء هذه المدينة مطلوبة منكم، لذلك يجب ان تفرغوا حكمتكم كلها وشفقتكم الانجيلية في سبيل ذلك، لان شقاق هذه المدينة لم يحدثه الهراطقة بل اولادها المتحدون بالايمان [2].

---

[1] رسالة باسليوس ال 214، ورسالته ال239 إلى اوسابيوس السميساطي.

[2] سويوريوس يعقوب توما ص239.

أسباب موقف أثناسيوس من مار ملاطيوس العظيم

لا يستطيع أي مُنصفْ ان يشكك في ايمان ومكانة القديس مار أثناسيوس الاسكندري، هذا امر محسوم، كما لا يستطيع أحد ان يُنكر الدور الذي لعبه أثناسيوس في الدفاع عن الايمان النيقاوي، خاصة بعد ان اصبح بابا الاسكندرية (337_373م) وتحمله الاضطهاد والنفي عدة مرات في سبيل الايمان شأنه شأن مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم وغيره من الأساقفة في تلك الفترة، ولكن ذلك لا يعني القفز على الحقائق التاريخية، فلم يكن موقف كنيسة الاسكندرية وأثناسيوس من كنيسة أنطاكية ومار ملاطيوس آنذاك نابع من فراغ، بل هناك اسباب، اهمها باختصار:

1: الأسباب العقائدية: كان أثناسيوس قادر على مجابهة الصعوبات والدفاع عن الايمان بصلابة، ولكنه لم يكن من الوجهة الأدبية كاتباً دقيقاً بارعاً من طبقة باسليوس والنزينزي، أمّا من الناحية اللاهوتيّة فلم يعبأ بالطريقة العلمية [1]، وكانت كتاباته اللاهوتيّة فقيرة لذلك فان أثناسيوس يُعتبر راعٍ اكثر منه لاهوتي [2]، حيث انه لم يأتي

---

[1] اغناطيوس أفرام برصوم الأول، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة مج1 ص522.

[2] أنطوان غزال وصبحي اليسوعي، تاريخ الكنيسة المفصل مج1 ص179.

بجديد فيما يخص اللاهوت والثالوث الأقدس بالذات أسوة بلاهوتيّ أنطاكية، إذ كان مبدؤهُ هو المساواة للآب والابن دون التركيز على تميز الأقانيم خلافاً للأنطاكيين، بل اعتبر في رسالته اليهم ان القول بالأقانيم يثير الشبهات لأنه غير وارد في الكتاب المقدس، لكن أثناسيوس وبعد عودته من المنفى سنة 362م لاحظ ان مصطلحي "اوسيا" (الجوهر) و"هيبوستاسيس" (الأقنوم) قد اصبحا مقبولين في الغرب والشرق بلا اعتراض، لذلك أقرّ أثناسيوس بان من لا يرغب بالاعتراف بصيغة "الأوموأوسيوس" (المساواة في الجوهر) لكنه يعترف بوحدة الآب والابن فانه على صواب، واخيراً قَبلَ أثناسيوس التسليم بالمبدأ الأنطاكي للأقانيم مع إضافة الوجود الخاص prosopon (بروسوبا) إلى الأقنوم، أي ان الله هو جوهر واحد في ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو اشخاص (بروسوبا) [1].

2: صيغة التسلّط [2]: كان أثناسيوس من ضمن الأشخاص الأحياء القليلين الموجودين في تلك الفترة من الذين كانوا قد شاركوا في مجمع نيقية سنة325م عندما كان شماساً، والوحيد الذي اصبح بطريركاً من ضمن أولئك الأشخاص، ولعل ذلك قد شكّل لديه

---

[1] راجع، القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية ص140.

[2] سنتطرق لهذا الموضوع بتفصيل اكثر في فصل آخر لاحقاً.

شعوراً بأنه أحقّ من غيره في تفسير ايمان نيقية والمحافظة عليه، لذلك كان يتعامل مع كنيسة أنطاكية بصيغة من اعلى إلى ادنى أي متبوع لتابع، وكان بولينس الكاهن رئيس الأسطثاويين يقبل بهذا، كما لم تكن لهجة التعالي بعيدة عن مخاطبات أو رسائل أثناسيوس الموجّهة إلى الأنطاكيين، ناهيك عن تدخل الاسكندريين بشؤون الأنطاكيين ومحاولة فرض هيمنتهم عليهم بطريقة أو بأُخرى دائماً [1].

3: لم ينسى أثناسيوس حضور بطريرك الاسكندرية جارجيوس الآريوسي في جلسة تنصيب مار ملاطيوس بطريركاً لأنطاكية سنة 360م، علماً أن جارجيوس كان مدعواً من الامبراطور قسطنطيوس وليس من مار ملاطيوس [2].

---

[1] لا تزال هذه النظرة موجودة إلى اليوم في كنيسة الاسكندرية، ففي كتاب تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا وهو أهم كاتب قبطي، وفي سرده أحداث مجمع الاسكندرية سنة 362م يقول ص133: وأُبلغتْ قرارات المجمع إلى كل الكنائس ولا سيّما **أنطاكية** التي **انصاعت!** لإرشاداته الحكيمة، (أي لإرشادات أثناسيوس)، وغيرها كثير، لكننا اقتصرنا على ما يخص موضوع الكتاب.

[2] كان جارجيوس قد اصبح اسقفاً (بطريركاً) للاسكندرية بأمر الامبراطور قسطنطيوس، وعامَل الأرثوذكسيين بقسوة عندما كان أثناسيوس منفيّاً، ثم قتلوه الاسكندريون بعد موت قسطنطيوس.

النفي الثاني والثالث لمار ملاطيوس العظيم [1]

بالرغم من ان الفترة التي بقي فيها مار ملاطيوس بعد عودته من النفي الأول قليلة، ثلاث سنوات تقريباً، إلاّ انه استطاع في هذه الفترة العناية بالنفوس لكي يقودها إلى الخلاص بمثله الصالح وفصاحة كلامه الرائع، فعادت الفضائل المسيحية إلى الازدهار بين النساء والرجال، وتتلمذ على يديه أساقفة قديسون كثيرون مثل: باسليوس الكبير ساعده الأيمن فيما بعد، فلافيانوس الأنطاكي الذي خلفه على كرسي أنطاكية، غريغوريوس النوسي، غريغوريوس النزنيزي، ديودورس أسقف طرطوس، إمفليخوس القوني، وغيرهم، كما ان الصحاري والجبال امتلأت بالرهبان والراهبات، ولكن للأسف فان الامبراطور جوفاينوس الذي كان أرثوذكسياً ونيقاوياً لم يعش طويلاً، فبعد ثمانية اشهر من ولايته فقط توفي في 17شباط سنة364م ومع ذلك استطاع مار ملاطيوس بجهوده بالكاد ان يبني كنيسة لرعيته في مدينة أنطاكية، وخَلفَ جوفيانوس الامبراطور فالنتيانوس (شباط364_375م) والذي كان مسيحياً مؤمناً من اتباع مجمع نيقية وكان غيوراً على الأرثوذكسية لكنه كان يرفض

---

[1] لم نحسب النفي الذي حصل في عهد يوليانوس الجاحد لأنه غير اكيد.

التدخل في الشؤون الدينية واللاهوتيّة معتبراً ذلك شأن الأساقفة وحدهم، ولكن لسوء حظ الشرق عموماً وكنيسة أنطاكية خصوصاً، انه بعد شهر واحد قام فالنتيانوس بتعيّن اخاه والنس (آذار364_378م) امبراطوراً للشرق وبقي هو امبراطوراً للغرب، واتفق الاثنان على سياسة التسامح الديني التي التزم بها فالنتيانوس فيما بعد، أمّا والنس فكان في بداية الأمر ملتزماً ومعتدلاً وحاول استمالة مار ملاطيوس ليربح به شعباً عظيماً، لكنه اخفق في مسعاه إذ سرعان ما سقط تحت تأثير زوجته الامبراطورة زومينيكية التي كانت آريوسية مُتشددة، فبدأ يرفع من شأن الآريوسيين ويحارب ويضطهد الأرثوذكسيين بشدة فأخرج الأساقفة من كراسيهم وعيّنَ مكانهم آريوسيين، ومن جهة اخرى استغل افذيوس المصري البطريرك الآريوسي الغير الشرعي لأنطاكية هذه الأمور وبدء يحرّض الامبراطور على نفي مار ملاطيوس، وفي ربيع سنة 365م تمّ له ذلك حيث اصدر والنس امراً بنفي جميع الأساقفة الذين كان قسطنطيوس قد نَفاهم سابقاً ثم سَمح لهم يوليانوس بالعودة، فخرج مار ملاطيوس من أنطاكية منفياً للمرة الثانية، أمّا بولينس اسقف الأسطثاويين فقد سُمح له بالبقاء في أنطاكية باعتبار انه قد صار أسقفاً بعد عهد قسطنطيوس وبسبب عمره المتقدم ايضاً، لكن الرعيّة لم تكن تتبع بولينس بل بقيت الأغلبية في أنطاكية وفيّة للبطريرك القديس مار ملاطيوس.

وانشغل الامبراطور والنس بالحرب مع قبائل القوط تاركاً الأمور الدينية والعقيدة جانباً، فانتظمت صفوف الأرثوذكسيين إلى حد كبير، واستطاع مار ملاطيوس ان يستغل هذه الظروف بحكمة وشجاعة وتمكن من العودة إلى كرسيه في أنطاكية سنة 367م مستفيداً بذلك من انشغال الامبراطور بالحرب ومشاكله خاصة ان الامبراطور كان قد تعرض لمحاولة انقلاب من قبل بركوبيوس احد ضباطه، بعدها استطاع الامبراطور والنس ان يتخلص من الكثير من اعدائه في حربه مع قبائل القوط حيث استقرت اموره إلى حد كبير، فالتفت مرة اخرى إلى الأرثوذكسيين يشدد الضيق عليهم ويضطهدهم، حيث تمَّ نفي مار ملاطيوس مرة ثالثة إلى أرمينيا اوائل سنة 372م، وإلى مكان ابعد من المرّات السابقة حيث بقي هناك إلى ان توفي والنس صريعاً من قبل القوط في 9 آب سنة378م.

وعندما حاول الوالي نَفي مار ملاطيوس، هاج الشعب وماج، وأرادوا اختطافه من يد الوالي عنوة وأوشكوا ان يرجموا الوالي بالحجارة، إلاّ ان مار ملاطيوس ستره بثوبه (بجبته) وهدأ روع الشعب الثائر قائلاً لهم: انه يجب إطاعة الأوامر الملكية [1].

---

[1] سويريوس يعقوب توما ص239.

مار ملاطيوس العظيم يَقود الكنيسة الأنطاكية السريانية وهو في المنفى

إنّ المرء ليقف حائراً أمام عظمة هذا القديس النبيـــل العظـــيم وحكمته، وكيف استطاع ان يقود الكنيسة الأنطاكية الـــسريانية الأرثوذكسية وسط هذه الأحداث الجسام، فبالإضافة إلى المشاكل الداخلية في بطريركيته فقد تخلى عنـــه الآخـــرون في الكرســـيين الرسوليين روما والاسكندرية، وفوق هذا كله فمنذ توليه الكرسي الرسولي الأنطاكي لم يبقى فيها إلاّ لفترات محدودة بسبب النفـــي والتشرد، وعليه فلا توجد أي قوة ارضية استطاع بها هذا البطريرك ان يحافظ على الكنيسة وابنائها وايمانها سوى قوة قداستهُ التي هـــي من الرب المسيح، فعندما كان منفياً بقيت قنوات الاتـــصال بـــين الشعب وراعيه الجليل مفتوحة بكل الوسائل المتاحة آنذاك بـــرغم كل الظروف، فكان العديد منهم يزوره إلى منفاه وخاصة باسليوس الكبير، كما كان يزوره الكثير من الأساقفة والكهنـــة والرهبـــان والشعب ليتبركوا منه ويأخذوا نصائحه ويتسلّحوا بتوجيهاته، فقد كان لشخصيته على المؤمنين تأثيراً قوياً جداً وغير طبيعي بلغ حـــد الأسطورة وأضحى في الوجدان رمزاً للكنيسة الـــصامدة، ويقـــول يوحنا الذهبي الفم في عظته المشهورة في 12شباط سنة386م " ان الناس من شدة تعلقهم بمار ملاطيوس، أبطلوا العادات القديمة الـــتي

كانوا يسمّون ابنائهم على اسماء آبائهم أو اجـــدادهم وأصـــبحوا يسمّون ابنائهم ملاطيوس تبركاً به لدرجة انه قلما توجد عائلـــة في أنطاكية ليس فيها شخص اسمه ملاطيوس، كما أضحى اسمه لبيوت المؤمنين زينة، وحيثما حللت في الأزقة والـــساحات وفي الحقـــول والطرقات سمعت اسم ملاطيوس يتردد، وهناك قوم كثيرون حفروا اسمه على فصوص خواتمهم وأختامهم وطاساتهم وجدران بيتوهم"، أمّا ابنائه الأساقفة والكهنة فحدث ولا حرج، فقـــد اهـــتمّ مـــار ملاطيوس بتنشئة جيل جديد من الآباء المـــدافعين عـــن الايمـــان الأرثوذكسي: باسليوس الكبير، غريغوريوس النوسي، غريغوريوس اللاهوتي، يوحنا الذهبي الفم فلابيانوس الأنطـــاكي، إمفليـــوخس القوني، أوسابيوس السميساطي، وكيرلس الأورشليمي وغيرهـــم، ناهيك عن وجود آلاف الكهنة والرهبان والراهبات الذين انتشروا في كل ارجاء الكرسي الأنطاكي والذين كانوا يرشدون المـــؤمنين مثل مار أفرام السرياني، وقسم منهم اتى إلى أنطاكيـــة لمـــساعدة باسليوس وغيره من الأساقفة في تثبيت المؤمنين مثـــل، يوليـــانوس السرياني الرهاوي، وآفرهاط السرياني الناسك وغيرهم، وقد اصبح باسليوس الكبير ساعد مار ملاطيوس الأيمن عندما كـــان منفيـــاً، (وسنرى ما فعلهُ من اجل مار ملاطيوس) فقد كان باسليوس الكبير يعتبر أنطاكية أعظم الكنائس المسكونة ويتألم لحالها وهو ما عَبّر عنه في قوله الشهير"هل هناك أعظم من أنطاكية بين كنائس المسكونة؟

فــإذا مــا ســاد التفــاهم فيهــا عــاد الوفــاق والوئــام إلى غيرها"(الرسالة67)، وكان باسليوس يَكنُّ للقديس مار ملاطيوس حباً واحتراماً وتقديراً قلّ نضيرهم (بشكل غير طبيعي)، إذ كــان يعتبره بطريرك أنطاكية العظمى الأوحد، هذا الموضــوع لا يقبــل النقاش لديه! خط احمر! وكل آباء الشرق المذكورين آنفاً كان هذا موقفهم، وكل هؤلاء هم قديسون مرموقون في تــاريخ الكنيســة المسيحيَّة، وبهؤلاء المؤمنين والآباء القديسين استطاع مار ملاطيوس ان يقود الكنيسة وهو في المنفى.

فعندما كان مار ملاطيوس منفياً، كان باسليوس يعمل بلا كلل ولا ملل من اجل توحيد الكرسي الأنطاكي الداخلي والاعتــراف بشرعية مار ملاطيوس وكان الآباء البقية يمثلون مار ملاطيوس بين الرعية، فكان ديودورس وفلابيانوس واللذان كانا لا يزالا كــاهنين يعملان بين الرعية لتثبيت المؤمنين، ثم جاء من الرها الراهب آفرهاط وانضمّ اليهما لتعزيز موقفهما، وكــان هــذا الراهــب ضــماناً للأرثوذكسيين بتعليمه وإجتراحه العجائب، وكــان قــسم مــن الأساقفة مثل أوسابيوس السميساطي يتنكرون خوفاً من السلطات الرومانية ويجوبون بين المؤمنين يحثــوهم علــى الايمــان وإنهــاء الانقسامات والالتفاف حول مار ملاطيوس البطريــرك الــشرعي، فنجح الآباء في تعزيز الوحدة الداخلية، ثم بعد ذلك التفت باسليوس

لقرع بابي روما والاسكندرية، فبعد ان نُفيّ مار ملاطيوس تــوفي البابا الروماني ليباريوس سنة 366م وخلفــه البابــا دماســيوس (366_384م)، وبقي الوضع كما عليه بالنسبة لكنيستي رومــا والاسكندرية حيث لم تعترفا بشرعية مار ملاطيوس، فحــزّ علــى باسليوس الكبير ذلك وحمل قضية أنطاكية على عاتقه ســاعياً إلى إيجاد حلاً لها، وكان يشكو من عدم تفهم الغرب لحقيقة المــشكلة في أنطاكية لأنهم لم يكونوا يميّزوا حقيقة الوضع في تلك الظــروف وكانوا يجهلون ان مار ملاطيوس يستقطب كل أساقفة الشرق [1]، وكان مار باسليوس يتمنى ان يرسل الغرب مبعوثين من قبلــهم إلى أنطاكية للاطلاع على الحقائق، ففكر باللجوء إلى رومــا لإعــادة الوحدة والسلام للكنيسة، وكان باسليوس يعتقــد ان أثناســيوس الاسكندري يستطيع ان يلعب دوراً مهماً ورئيسياً في حل المشكلة الأنطاكية نظراً لعلاقته القوية بالبابا الروماني دماســيوس، فكتــب باسليوس إلى أثناسيوس رسائل يحثّه فيها على الاعتراف بشرعية مار ملاطيوس ويستحثّهُ في الوقت نفسه على إقناع البابــا دماســيوس الروماني ايضاً بذلك، فخاطب باسليوس أثناسيوس الاسكندري في إحدى الرسائل قائلاً له:

---

(1) خريسوستمس ص195.

"إن امر رئاسة مار ملاطيوس امراً مرغوباً فيه في كل المشرق، وعندنا نحن المتحدين معه في كل شيء، فكلنا يرغب في ان يرأس كنيسة الرب هذا الذي لا مآخذ على ايمانه ولا يُشقُّ له غبار في الفضيلة وقداسة السيرة، ولا أحقُّ منه بالرئاسة على كل كنيسة أنطاكية، ومن الضروري جداً ومن صالح الكنيسة ان يلتف الجميع حوله ويتحدوا برعايته كما تتحد الأنهار الصغيرة بالنهر الكبير" [1].

أمّا بالنسبة لحَث أثناسيوس للتوسط لدى البابا دماسيوس في الغرب فقد كتب باسليوس إلى أثناسيوس الاسكندري رسالة قائلاً:

"من ترى عنده التعقل اكثر مما عندك حتى يقوم بهذا العمل؟ ومن عنده ذهن أحدُّ من ذهنك ليرى ما يجب عمله؟ من لديه الفعالية اكثر منك لعمل ما يجب عمله؟ من يتمتع اكثر منك بالكرامة والتوقير في كل الغرب؟ فاترك لحياتك ذِكراً على مستوى سياستك وتصرفك ايها الأب الجزيل الكرامة، وزيّن تلك الجهادات الفائقة العدد التي جاهدتها في سبيل الايمان الحسن بهذا العمل المجيد الفريد! ان حسن انتظام الأمور في كنيسة أنطاكية متعلق بقدسك وغيرتك حتى تدبّر البعض وتهدئ البعض الآخر وترد للكنيسة قوتها

---

[1] توما بيطار ص85.

بواسطة الاتفاق [1].

وترجّى باسليوس من أثناسيوس ان يقنع البابا دماسيوس في الغرب بان يرسل إلى أنطاكية ممثلين عنه من يتحلى بالخلق والمقدرة على المفاوضة مع المنشقين والمنحرفين لكي يردّوهم إلى جادة الصواب، مع تأكيد باسليوس على وجوب الاعتراف بمار ملاطيوس بطريركاً شرعياً على أنطاكية دون سواه ، وان يرسل الغرب له كل القرارات التي اتخذوها في السنوات الأخيرة ليطّلع عليها وخاصة قرارات المجمع الأخير الذي عُقد في روما سنة 368م، وكذلك الموقف الذي اتخذه الغرب من مجمع رينيمي 359م والذي كان الآريوسيون قد استطاعوا من استمالة عدد كبير من أساقفة الغرب والاحتيال عليهم وأقنعوهم بالتوقيع على قرارات آريوسية الصبغة، راجياً في الوقت نفسه من الغرب حَرم ماركلوس أسقف انيقرة لأنه ارتد إلى الهرطقة [2]، وقد رحّبَ أثناسيوس واستجاب لطلب باسليوس فأوفد احد كهنتهُ واسمه بطرس (خَلفَ أثناسيوس بعد

---

[1] خريسوستمس ص196.

[2] الأبوان ص146. لاحظ المبدئية في رسالة مار باسليوس، فبرغم طلبه المساعدة الأخوية من روما، إلاّ انه كان مبدئياً في مطالبه لتعود الشرْكة بين الكنيستين، مُصراً على نبذ الآريوسية، حرم ماركلوس من قبلهم، والاعتراف بشرعية مار ملاطيوس.

وفاته) إلى باسليوس يُعلمه بذلك، فتشجع باسليوس وأعلم مار ملاطيوس بذلك، فقررا الكتابة إلى الغرب، وكتب باسليوس رسالة إلى دماسيوس بابا روما يرجوه فيها تدخله في الشرق وإرسال مبعوثين من قبله إلى أنطاكية لمعرفة حقيقة الأمور عن قرب وإحياء المحبة بين كنائس الله ولم شمل المؤمنين وكشف المفسدين، واختار دوروثيوس أحد شمامسة مار ملاطيوس الذي كان يمتاز بمقدرة وحنكة كبيرة لنقل الرسالة إلى الغرب عن طريق أثناسيوس، فذهب دوروثيوس إلى الاسكندرية حاملاً الرسالة، وعند وصوله الاسكندرية ولحسن الحظ، صادف وصول الشماس سابينوس مبعوث كنيسة ميلانو حاملاً رسائل سلامية إلى أثناسيوس الاسكندري من مجمع روما الذي عُقد سنة 368م والذي تقرر فيه حَرم اعمال مجمع ريميني كما تقرر رسمياً حَرم ثلاثة من الأساقفة الآريوسيين الغربيين ويؤكد القول بمجمع نيقية [1].

إطّلعَ أثناسيوس على الرسالة السلامية ونَصحَ أثناسيوس الشماس سابينوس بان يذهب إلى باسليوس ويطلعه على الرسالة، وإذ كان أساقفة ميلانو من القلائل الذين يتعاطفون مع كنيسة

---

[1] كان هذا تقدماً كبيراً جداً بالنسبة لكنيسة أنطاكية، فبعد ان اصبحت الآريوسية تنتشر في الغرب، بدأ الغرب يميّز بصورة جليّة الآريوسيين عن الأرثوذكسيين الحقيقيين.

الشرق اصلاً [1]، فقد استجاب سابينوس لذلك، وعندما وصل المبعوث الغربي سُرَّ به باسليوس كثيراً واستقبله بحفاوة وتكريم بالغين، وكتب باسليوس عدة رسائل إلى أساقفة روما والغرب مثل فالريانوس أسقف اكيلياس واسخوليوس أسقف تسالونيكي وغيرهم، وأرسلها مع سابينوس شماس ميلانو، ثم وردت إلى باسليوس عدة رسائل جوابية من هؤلاء الأساقفة في روما والغرب فيها انباء عن تبدل في موقف كنيسة روما، كل هذه الأمور جعلت باسليوس يتشجع اكثر فراحَ يفاوض مار ملاطيوس في الأمر وأقنعه بالتوقيع على رسالة موجهة إلى أساقفة ايطاليا والغال (فرنسا سابقاً) سنة 372م، ووقع الرسالة بالإضافة إلى مار ملاطيوس واحد وثلاثين أسقفاً آخر (كأنها من مجمع مقدس)، من بينهم باسليوس طبعاً، غريغوريوس النزنيزي (والد غريغوريوس اللاهوتي)، اوسابيوس السميساطي، وغيرهم من أساقفة الشرق، وقد أنشأ الرسالة بخطوط عريضة مار ملاطيوس ثم أكمل صياغتها باسليوس نهائياً، وتبدأ الرسالة بالتحية ثم تقول: إلى احباء الله الجزيل بِرّهمْ إخوتنا الأساقفة الأعزاء جداً والمساهمين لنا في الخدمة الإلهية في ايطاليا وغاليا، ثم تعرض الرسالة وضع وحالة كنيسة الشرق

---

[1] أفغراف سميرنوف، تاريخ الكنيسة المسيحية، ترجمة الكسندروس ص238.

والأعمال التي يقوم بها الآريوسيين الـذين يـدعمهم ويحميهم الامبراطور والفرس، وعن الهرطقات التي يتعرض لها قطيع المسيح والتي تسبب خطراً جسيماً على الكنيسة، راجين بـذلك تـدخل الأساقفة الغربيون بالمحبة الأخوية وقائلين:

فإذا كان هناك من تعزية في المحبة ومن شركة الروح وتعطف الأحشاء، فتحركوا أنتم بـه لمعونتنا لتعزيز كنيسة الـشرق الأرثوذكسية.

تسلمَّت روما الرسالة، لكن للأسف قبل ان تجيب عليها تُـوفيّ أثناسيوس الاسكندري ليخلفه البابا بطرس 373_383م في رئاسة الكرسي الاسكندري والذي كان أثناسيوس قد أوصى سلفاً بخلافته له قبل وفاته، لكن بطرس كانت تنقصه خبرة وحماسة سلفه أثناسيوس [1]، فقد كان البابا بطرس الاسكندري صديقاً لروما سبباً لمشاكل كبيرة في كنيسة أنطاكية بشكل خاص حيث كان يكن العداء لمار ملاطيوس العظيم بالذات وللأساقفة الآخرين في أنطاكية بشكل عام، كما سبّبَ مشكلة كبيرة في كرسي القسطنطينية ايضاً كما سيأتي.

---

[1] خريسوستمس ص199.

مار ملاطيوس العظيم وبطرس بابا الاسكندرية

كان موقف البابا بطرس الاسكندري عجيباً غريباً من مار ملاطيوس وكنيسة أنطاكية، حيث عند اعتلائه كرسي الاسكندرية وبدل من ان يستمر في تلك المساعي التي بذلت سابقاً لإصلاح الأمور، فان اول ما فعله هو الاعتراف ببولينس بطريركاً شرعياً لأنطاكية، ليس هذا فحسب بل انه اعتبر القديس مار ملاطيوس الأنطاكي العظيم مغتصباً وهرطوقياً وخارجاً عن الايمان [1]، والأعجب والأغرب من ذلك، انه وبعد فترة قليلة، اغتصب الآريوسيون الكرسي الاسكندري سنة 374م، وقاموا بنفي بطرس بابا الاسكندرية ، فذهب إلى روما، وعندما وصل إلى هناك استقبله البابا الروماني دماسيوس بحفاوة وتكريم، وكان أول ما فعله بطرس في روما اثناء مناقشة الأزمة الأنطاكية مع البابا دماسيوس وأساقفة الغرب، انه أوصى بعدم الاعتراف بشرعية مار ملاطيوس والاعتراف ببولينس بدون تحفظ، وكان لا يشك بايمان وأرثوذكسية مار ملاطيوس فقط، بل انه شكّكَ بأرثوذكسية اوسابيوس السميساطي المتعاون مع باسليوس وغيره من المجاهدين في

---

[1] رستم ص252. وكذلك الأبوان ص 147.

سبيل الأرثوذكسية [1]، فأكد البابا دماسيوس اعترافه ببولينس وعدم اعتبار مار ملاطيوس بطريركاً شرعياً، وفي صيف سنة 374م وصل إلى أنطاكية الكاهن الأنطاكي افغاريوس عائداً من روما وحاملاً رسالة قاسية اللهجة تتضمن صيغة نص ايماني معين وتطلب الرسالة من باسليوس ان يوقّع أساقفة الشرق عليها من دون تغير أو تبديل أية كلمة فيها، وتصر على وجوب حضور عدد من الأساقفة الأنطاكيين إلى روما للتفاوض.

رفض باسليوس وزملائه التوقيع على الرسالة وشرحوا الأسباب والوضع لافاغريوس شفهياً [2]، فما كان من افاغريوس إلاّ ان ذَهب واعترف ببولينس وأقام الذبيحة الإلهية معه رافضاً الاعتراف بشرعية مار ملاطيوس، فكتب باسليوس إلى الغرب رسالة مؤثرة سنة 375م يشرح لهم معاناة كنيسة أنطاكية وبطريركها الشرعي، خاصة وانه قد دخل على الخط عنصر جديد وهو قيام ابوليناريوس أسقف اللاذقية المتطرف برسم فيتاليس أسقفاً لأنطاكية لإدارة جماعته وحزبه هناك ليصبح بذلك لأنطاكية اربعة بطاركة هم، مار

---

[1] خريسوستمس ص199.

[2] هذا ايضاً تأكيد آخر لمبدئية باسليوس في موقفه.

ملاطيوس الأرثوذكسي الشرعي، وبولينس الأرثوذكسي غير الشرعي، ودوروثاوس الآريوسي خليفة افذيوس المصري، وفيتالس الأبوليناري [1]، وأرسل باسليوس الرسالة بيد الشماس دورثيوس طالباً منه ان يشرح ويوضح حقيقة الأمر للغرب شفهياً ايضاً، لكن قناعات روما لم تتغير و لم تتبدل، حيث كان البابا دماسيوس والغرب وبعد تدخلْ بطرس الاسكندري قد اعترفوا بشرعية بولينس ودخلوا في شركة كنسية معه، بل ان روما ارسلت إلى بولينس رسائل قانونية بهذا الشأن، فبدأ يُظهرها بتعالي وتباهي في أنطاكية مفتخراً بها أمام الشعب والسلطات المدنية على انه هو البطريرك الشرعي المعترف به من قبل روما والاسكندرية، وان أثناسيوس كان يراسله سابقاً، فكتب باسليوس إلى حاكم أنطاكية ترنديوس منبّهاً إياه بعدم الانخداع، قائلاً له:

إنّ الغربيين يجهلون امورنا المحلية هنا، وأمّا الذين أعلموهم بذلك (يقصد بطرس الاسكندري)، فَهُمْ إمّا يجهلون الحقيقة أو يَخفون السبب [2].

---

[1] أبوليناريوس، كان صديقاً حميماً لأثناسيوس الاسكندري، حارب الآريوسية في البداية، ثم سقط في هرطقة، فقطع اثناسيوس الشْركة معه. سنتكلم عن هرطقته لاحقاً.

[2] خريسوستمس ص201.

ومع ذلك لم ييأس باسليوس الكبير من هذه الصعوبات لأنه فعلاً كبير، بل صمّمَ على المقاومة وتلقى هذه الصعوبات بثبات الايمان وسعة الصدر، فكتب رسالة إلى الغرب في ربيع سنة 377م وحمل دورثيوس الرسالة بسرعة إلى روما، فلما وصل إلى هناك، صادف اجتماع الأساقفة في مجمع محلي كان حاضراً فيه بطرس الاسكندري ايضاً، وعندما تليت الرسالة قام بطرس وتهجم على مار ملاطيوس واسابيوس السميساطي بشدّة، فاضطر دورثيوس إلى ان يرد على بطرس الاسكندري رداً شديداً [1]، ثم رجع إلى أنطاكية حاملاً جواب الغرب إلى باسليوس وهو عدم الاعتراف بشرعية مار ملاطيوس بل انهم يعترفون ببولينس، ومعهم بطرس الاسكندري بالطبع، مع بصيص أمل صغير من الايجابية في الرسالة، وهو التنويه بأخطاء أبوليناريوس ومركلّوس من دون ذكر اسميهما!، واللذان كان قد طالب باسليوس سابقاً بحرمهما، وهكذا فان وجود بطرس الاسكندري في روما كان يقيم المصاعب الكبرى في طريق مساعي باسليوس السلمية [2]، لأنه كان معادياً لمار ملاطيوس، وقد أحبط محاولات كثيرة لإصلاح ذات البين لاسيما بعدما بعث مار

---

[1] رستم ص251، كذلك الأبوان ص149.

[2] خريسوستمس ص200.

ملاطيوس وباسليوس وعدد من أساقفة الشرق برسائل وبيانات ايمانية إلى البابا الروماني دماسيوس، لكن بطرس الذي كان موجوداً في روما سنة 377م، ردَّ بعنف وطلبَ إدانة مار ملاطيوس، وقد استغرب مار باسليوس من الطعن بأرثوذكسية مار ملاطيوس [1].

وكأنَّ وجود البطريرك القديس مار ملاطيوس العظيم مشرّداً في المنفى من قِبلْ الآريوسيين قَبلَ بطرس الاسكندري بسنوات ولعدة مرات، لم يكن شهادة كافية لإثبات ايمانهُ ومعتقده المستقيم!.

مقطع من رسالة مار باسليوس الكبير إلى اوسابيوس السميساطي

بالرغم من دعوات مار باسليوس المتكررة للبابا دماسيوس الروماني والبابا بطرس الاسكندري للاعتراف بمار ملاطيوس بطريركاً شرعياً وحيداً لأنطاكية وإيراد البراهين على صحة الواقع في كنيسة أنطاكية، لكن دماسيوس وبطرس بقيا لا يستجيبان له، وقد شكّل ذلك حزناً وألماً عميقين لديه، فكتب القديس مار باسليوس الكبير بمرارة نفس يعزّيها الايمان إلى زميله اوسابيوس السميساطي الذي كان منفياً هو ايضاً ليُطلعه على ما آلت اليه اوضاع الكنيسة في أنطاكية، قائلاً:

---

[1] بيطار، ص83و84.

يحضرني قول ديوديمس (فيلسوف يوناني)، "يا ليتك لم تترجى الرجل المتعجرف" لان الطبائع المتعجرفة إذا لُوطفت اصبحت اكثر تعالياً، وإذا رحمنا الرب وتعطف علينا فأية مساعدة اخرى نحتاج؟ أمّا إذا استمر غضب الله، فأية مساعدة ننتظر من العجرفة الغربية؟.

ماذا ننتظر من الذين لا يعرفون الشيء الحقيقي ولا يطيقون معرفته، ولكن بما انهم مأخوذون بظنون كاذبة، تراهم يتصرفون الآن تصرفهم فهم يحاربون من يقولون لهم الحقيقة ويكونون أداة لنصر الهرطقة.

أجل....أنا شخصياً فكّرتُ ان اكتب إلى رئيسهم من اجل الإشارة إلى انهم ما عَرفوا حقيقة الواقع عندنا ولا يقبلون ان يتابعوا الطريق التي تؤدي إلى المعرفة، أردتُ أن اُفهّمهم انه لا ينبغي أن يتهجموا على أولئك الذين تحمّلوا التجارب والأهوال في سبيل أرثوذكسيتهم (يقصد مار ملاطيوس) ولا يتصوّروا الكبرياء فضيلة، فهي خطيئة العداء مع الله [1].

---

[1] خريسوستمس ص200.

عودة مار ملاطيوس العظيم من المنفى

توفي امبراطور الشرق فالنس مضطهد الأرثوذكسية في 9 آب 378م صريعاً بيد قبائل القوط، وكان غراسيانس امبراطور الغرب الذي اعتلى العرش سنة (375_385) مسانداً للأرثوذكسية ويحاول إصلاح امور الكنيسة من فساد الآريوسيين، فقام غراسيانس بتعيَّن ثيودوسيوس الكبير المتساهل مع الأرثوذكسيين امبراطوراً للشرق وتم تنصيبه في19كانون الثاني (379_395م) خَلَفَاً لفالنس، وبذلك بدأت الأزمة الأنطاكية تتحرك نحو إيجاد الحل النهائي وتوقّفَ اضطهاد الآريوسيين ودخلت الكنيسة في عصر سلام وسُمُحَ لجميع المنفيّن بالعودة إلى كراسيهم، فعاد مار ملاطيوس إلى أنطاكية في صيف سنة 378م وعاد أساقفة أنطاكية البقية ايضاً مثل كيرلس الأورشليمي، اوسابيوس السميساطي، وغيرهم.

استقبال الرسل

وصل القديس مار ملاطيوس إلى أنطاكية وقد اصبح شيخاً جليلاً كلّلتهُ أيام النفي بالمهابة والوقار، ودخل إلى كرسيه الأنطاكي مظفّراً وإلى شعبه الذي بقي طيلة مدة غيابه عنهم محافظاً على ولائه له حيث استقبله شعبه باحترام وحماس عظيمين، فإذا كانت الجموع قد هتفت لفادي ومعلم مار ملاطيوس الأول السيد المسيح عندما

دخل اورشليم قائلة: (هذا هو يسوع الناصري، متى21،11)، فان جموع أنطاكية هتفت لمار ملاطيوس عند دخوله أنطاكيــة قائلــة: "هذا هو خليفة بطرس الرسول الشرعي على كرســي أنطاكيــة العظيم"، وفعلاً فقد شبَّهت بعض المصادر التاريخية اســتقبال مــار ملاطيوس في أنطاكية باستقبال المخلص عندما دخل اورشليم [1]، ولا يحتاج الكاتب أو المؤرخ أن يبذل جهداً ليصف ذلك الاستقبال المهيب احسن مما وصفه القديس يوحنا الذهبي الفــم في إحــدى عظاته، حيث وصف فيها استقبال مؤمني أنطاكية الرائع للقــديس البطريرك مار ملاطيوس عند عودته من المنفى بانه يشبه اســتقبال رسل المسيح إذ يقول:

وكما جرى في أيام الرسل، عندما عاد إلــيهم القــديس مــار ملاطيوس، القريبين منه كانوا يلمسون قدميــه ويقبلــون يديــه ويستمعون إلى صوته وينالون بركته، أمّا الذين حال الازدحام بينهم وبينه ولم يستطيعوا الاقتراب منه لكثافة الجموع، فكانوا ينظــرون اليه من بعيد، وبمجرد النظر اليه من بعيد كان بركة كافيــة لهــم وكأنهم شاهدوه من قريب، حاله كانت كحال الرســل فكــانوا

---

[1] عساف ص625.

ينتزعون نعمة الرسل من ظل الرسل (مار ملاطيوس) الممتد عليهم لان ضرباً من المجد الروحي فاض من هامة مار ملاطيوس المقدسة، لذلك كانوا يشعرون ان إيحاءً روحياً خفياً ينبعث من تلك الهامة المقدسة فيأتي اليهم ويمنحهم البركة، وبعد ان كانوا يفوزون بالشفاء والبركة كانوا يتملَّونَ من رؤيته ثم ينصرفون بكل خير وعافية إلى بيوهم، لان التمتع بالنظر إلى تلك القداسة كان تغذية عظيمة للأنفس، لأنه ليس بدروسه وتعليمه فقط ولا بكلامه وصوته فحسب، ولكن مجرد النظر اليه كان كافياً ان يجعل الفضيلة تخترق سامعيه وتدخل الراحة إلى كل نفس [1].

عندما عاد مار ملاطيوس من منفاه إلى أنطاكية وجد رعيته متعبة بانتظار راعيها الجليل الذي كان غائباً عنها قسراً ليأتي ويوحّدها، وها ان الراعي قد عاد، إذ تمكن مار ملاطيوس من استرجاع كُرسيه وفرض نفسه رئيساً على غالبية أرثوذكسيي أنطاكية [2]، خاصة ان دورثاوس خليفة افذيوس الآريوسي كان قد تُوفيّ ولم يخلفه أحد، فانضمت جماعته إلى الأرثوذكسيين تحت

---

[1] خريسوستمس ص192. كذلك توما بيطار ص 81و82.

[2] الأبوان ص150، استناداً إلى المؤرخ ثيودوريطس، تاريخ أنطاكية5: 2و3.

رئاسة مار ملاطيوس، كما سعى مار ملاطيوس إلى إزالة الـــشقاق بين اصحاب الايمان الواحد بالتفاهم والرضى، واتصل فوراً ببولينس الذي كان قد اصبح طاعناً في السن (90سنة تقريبا) والذي لم يبقى لديه سوى جماعة أرثوذكسية صغيرة جداً، وتعاطى معـــه بـــروح الألفة والوحدة والسلام، لكن بولينس تَشمّخ مكتفياً باعتراف روما والاسكندرية له، فأخذ الأمر مار ملاطيوس بوداعة وصبر وســـلمّ أمره لله والتفت إلى رعيته التي اصبحت هي الأغلبية في أنطاكية.

مجمع أنطاكية سنة 379م

دعا مار ملاطيوس إلى مجمع أنطاكي محلي في أيلول سنة 379م للملمة ابناء الكنيسة وتأكيد الايمان القويم فلبى الدعوة 153 أسقفاً وهم اغلب وأشهر الأساقفة في أنطاكية آنذاك، بينهم اوســـابيوس السميساطي، بلاجيوس اللاذقي، ديودورس الطرسوسي، افلوغيوس الرهاوي، زينون الصوري، بيتاوس الملّيتي، وغيرهم، وارتـــأت إرادة الله بان يكون القديس مار باسليوس الكبير غائباً في هذا المجمع لأنه كان قد انتقل إلى الخدور العلوية في 1 كانون الثاني 379م، وبـــذلك لم يشاهد بالجسد ثمار ما قام به من جهود في سبيل الرب، (وما من شك بانه شاهدها بالروح)، ومن المؤكد ان هؤلاء الأساقفة حضروا إلى أنطاكية رغبة منهم في إيجاد حل لجمع شمل مـــؤمني أنطاكيـــة، ولدعم وتسهيل انتصار الأرثوذكسية على الآريوسية الـــتي بـــدأت

تتقهقر وتلفظ انفاسها الأخيرة، وقد ناقش المجمع اموراً كثيرة وخاصة فيما يتعلق بالأزمة الأنطاكية وتضميد الجراحات السابقة التي حدثت بسبب الآريوسية وغيرها، وقام الآباء في إزالة اللغط في الكثير من المسائل التي حصلت سابقاً، وحدد المجمع الايمان بصيغة واضحة هي وحدة الآب والابن والروح القدس في الجوهر، لتُنهي الخلاف الداخلي وتشجع البقية في روما والاسكندرية للتقارب وإعادة الشرْكة الكنسية، وفعلاً فان مجمع القسطنطينية المحلي الذي انعقد فيما بعد سنة 382م ارسل رسالة إلى الأنطاكيين قائلاً:(نقبل الذين هم في أنطاكية ويعترفون بوحدة لاهوت الآب والابن والروح القدس) [1]، ومن اهم نتائج هذا المجمع ايضاً هو التفاف الأساقفة والمؤمنين حول مار ملاطيوس واعتباره البطريرك الشرعي لكرسي بطرس الأنطاكي الرسولي، وحرر المجمع رسالة إلى أسقف روما وغيره بهذا الخصوص، وتؤكد كثير من المصادر التاريخية بان هذا المجمع كان تمهيدياً للمجمع المسكوني الذي سيعقد بعد سنتين من الآن، وفي أحد الأيام بينما كان المؤمنون الأرثوذكسيون

---

[1] كساب، علماً ان الرسالة قد أُدرجت خطأ ضمن قوانين مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني الذي عُقد سنة 381م في كثير من الكتب التاريخية.

مجتمعون في الكنيسة، رفعوا مار ملاطيوس إلى العرش الأسقفي وترجّوا بحرارة من بولينس

الذي كان قريباً من المكان ان يقبل مار ملاطيوس كأخ مساو له في الكرسي وراع للرعية، لكن بولينس رفض ذلك وكادت ان تحصل فتنة واشتباك، وفي شباط سنة 381م، أوفد الامبراطور ثيودوسيوس أحد قادة جيشه إلى أنطاكية وهو سابور لإعادة الكنائس الأرثوذكسية المغتصبة وتسليمها إلى اصحابها الشرعيين، وعندما وصل سابور إلى أنطاكية طلب ان يتحقق من الأساقفة هو أرثوذكسي لكي يسلّمه الكنائس، وكان بولينس يسيطر على كثير من الكنائس بالرغم من ان جماعته اصبحت صغيرة جداً، ولما رأى سابور الخلافات بين الأساقفة الثلاثة قائمة، مار ملاطيوس البطريرك الشرعي، بولينس، فيتالس الابوليناري، وضع سابور شرطاً أو اقتراحاً، هو ان من يستلمها من الأرثوذكسيين يجب ان يكون متفق مع بابا روما عقائدياً، ويبدو ان الاقتراح كان من سابور شخصياً، لأنه لا توجد أي وثيقة تاريخية تؤكد بان الامبراطور قد امر بهذا الشرط نصاً، وفي احسن الأحوال كان رأي الامبراطور هو الاستقرار السياسي الداخلي أولاً، وثانياً لماذا لا يتفق الأرثوذكسيون مع روما ان امكن؟ وتنتهي المشاكل داخلياً وخارجياً، ولكن إذا لم يتفقوا لم يكن هذا الاقتراح شرطاً جازماً، إذ ان الامبراطور كان

يدرك ان الأرثوذكسية في أنطاكية لن يُسَيطر عليها إلاّ بواسطة أرثوذكسييّ أنطاكية انفسهم وبتعاونهم مع السلطة السياسية، والدليل القاطع على ذلك ان الامبراطور كان قد اصدر براءة في 10كانون الثاني سنة 381م خالية من أية اشارة لأسقفي روما والاسكندرية، ومهما يكن من الأمر فقد فرح بولينس كثيراً لاقتراح سابور وأسرع ليقول لسابور انه هو الوحيد المتفق مع دماسيوس الروماني في المعتقد، لكن الله كان له بالمرصاد، إذ اعترض فيتالس عليه وبدأ الاثنان بالمجادلات اللاهوتيّة التي لم يكن سابور ليفهم شيء منها!، أمّا مار ملاطيوس فكان هادئاً ووديعاً فتقدم واقترح على بولينس بهدوء ووداعة وتعقل قائلاً له:" ان يكون كلانا أسقفين مشتركين نجلس في الكنيسة على كرسيين وبيننا الانجيل المقدس، وأضاف مار ملاطيوس قائلاً: فإذا فارقت انا الحياة قبلك، فتبقى لك وحدك قيادة الرعية يا صديقي، وإذا انت جاءك الأجل قبلي، فانا اهتم بالخراف على قدر طاقتي"، لكن بولينس رفض ذلك، وهذا برهان آخر على صفاء نيّة مار ملاطيوس، وعندئذ قام سابور بتسليم جميع الكنائس إلى مار ملاطيوس الذي استطاع بايمانه وصبره وتواضعه ان يأخذ جميع الكنائس [1].

---

[1] دليل آخر ان الاقتراح من سابور، لان مار ملاطيوس اخذ الكنائس و لم ينفذ مطلبه.

أمّا بشأن اقتراح مار ملاطيوس بتولّي هو وبولينس البطريركية لحين وفاة أحدهم، فقد حاول بعض المؤرخين التحجج به وان الأنطاكيين قد نكثوا بوعدهم بعد وفاة مار ملاطيوس، فهذا غير صحيح ابداً، لان مار ملاطيوس وبروح المحبة والايمان اقترح هذا فعلاً، لكن بولينس رفضَ، لهذا فلم يحصل اتفاق بينهما إطلاقاً، هذاما يؤكده المؤرخ ثيودوريوس القورشي وغيره حيث يقولون:

وهذا هو الخبر الوحيد الصحيح، أمّا روايات المؤرخين التي قالت بان الاتفاق قد حصل فهي اخبار طائشة لا اساس لها من الصحة، والدليل على ذلك انه عندما انتقل مار ملاطيوس إلى السماء سنة 381م، تمّ انتخاب فلابيانوس بطريركاً شرعياً خلفا لمار ملاطيوس، اعترض بولينس وجماعته محاولين اخذ رئاسة الكرسي الأنطاكي لهم لكنهم لم يذكروا ان هناك اتفاقاً سابقاً بهذا الخصوص [1].

---

[1] خريسوستمس ص209.

الامبراطور ثيودوسيوس الكبير والمسيحيَّة

ولد الامبراطور ثيودوسيوس الكبير سنة 347م في اسبانيا من أبوين مسيحيين وكان يميل للمسيحية، لكنه لم يعتنقها رسمياً (لم يعتمد)، وفي شباط380م انتابه مرض اشرف فيه على الموت، فطلب العماد ليغسل ذنوبه قبل ملاقاة ربه، ولما اتى اسخولويس أسقف تسالونيكي ليعمّدهُ سأل عن إيمانه ان كان أرثوذكسياً أم لا، فقالوا له انه أرثوذكسي فقبل العماد [1]، وأصبح مسيحياً حقيقياً يدعم الأرثوذكسيين النيقاويين، ثم استطاع ثيودوسيوس ان يُقنع غراسيانس امبراطور الغرب الذي كان مسيحياً معتدلاً ان يحارب الوثنية في المملكة ويناصر المسيحية الأرثوذكسية بالذات، وان يتخلّيا معاً عن لقب "الحبر الجليل" الخاص بالأباطرة لأنه يرمز إلى رئاسة الكهنة الوثنيين، فأصدر غراسيانس الأوامر لتحريم كل ما هو وثني ومنها إزالة تمثال النصر من مقر مجلس الشيوخ في روما، ومنذ سنة 379م رغب الاثنان في عقد مجمع مسكوني (عالمي) ينهي النزاعات العقائدية المسيحية، لكن ظروف الحرب ومشكلة أنطاكية حالتا دون ذلك، وانتظر ثيودوسيوس ان تهدأ الأمور قليلاً لتحقيق

---

[1] تاريخ سقراط ج5 ص6.

رغبته في ذلك لحل كل المشاكل، ثم هدأت الأمور وعمّ السلام، وكان ثيودوسيوس مثقفاً خاصة في مجال التاريخ، وكان كريماً جداً لا يقل كرماً من قسطنطين الأول مع المسيحية حيث غَمَرَ الأنطاكيين بالإحسانات، ليس هو فقط بل زوجته الامبراطورة فلاكيلا ايضاً التي لم تكن اقل منه جوداً وعرفاناً، وكان محباً للأساقفة والشعب ومتسامحاً معهم، فعندما طُلب منه ان يسامح بعض الثائرين الأنطاكيين الذين شَتموهُ هو وأسرتهُ اجاب قائلاً: "ان كان يسوع ربنا قد أسلمَ نفسه ليصلب وسأل أباه المغفرة لصالبيه، فكيف أتردد انا في المغفرة لأعدائي"، كما امر القضاة بعدم تعقب المجرمين ايام الآحاد والصوم والفصح لانها ايام مباركة [1]، وفي عهده تحولت معابد الاوثان إلى كنائس وازدهرت المسيحية على حساب الوثنية والأرثوذكسية على حساب الآريوسية التي بدأت تتلاشى، كما انحسر النزاع اللاهوتي بين المسيحيين انفسهم، ورأى ثيودوسيوس ان يعقد مجمعاً مسكونياً في مدينة القسطنطينية العاصمة الشرقية للدولة الرومانية لوضع حد للأزمة الأنطاكية ومشكلة القسطنطينية، ولسحق البدع الجديدة التي ظهرت وخاصة بدع الروح القدس وتأييد دستور الايمان النيقاوي، وغيرها من الأمور.

---

[1] المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي والديني ج4ص120.

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني381م

عُقد المجمع في أواخر أيار واستمر إلى 30 تموز سنة 381م.

أسباب انعقاد المجمع

أولاً: الأزمة الأنطاكية وقد مرت بنا من خلال حياة مار ملاطيوس.

ثانياً: مشكلة القسطنطينية ومكسيموس الكلبي وبابا الاسكندرية.

في سنة 379م طَالبَ اهل القسطنطينية من مار غريغوريوس النزنيزي ان يصبح أسقفاً عليهم، إلاّ انه لم يكن يرغب بذلك لأن مار باسليوس كان قد رسمه أسقفاً لمدينة سازميا سابقاً، لكنه رفض الالتحاق بها وذهب ليعش ناسكاً، فذهب الشعب اليه في منسكه وقادوه إلى المدينة فرضخ لضغطهم ورغبتهم، وكان مكسيموس الكلبي المصري يومها موجوداً في القسطنطينية ويقوم بنشاط ديني في المدينة حيث كان ذكياً جداً، فأحبه غريغوريوس وقرّبه اليه، لكنه بدأ يتآمر عليه، وكسب الكلبي تعاطف بطرس الاسكندري وأقنعه بان غريغوريوس لا يحقُّ له وفق القوانين الكنسية ان يكون أسقفاً للقسطنطينية لأنه قد رُسم لسازميا سابقاً [1]، فسانده بطرس الذي

---

[1] لم تكن القوانين تسمح بانتقال أسقف من أبرشية لأخرى، لكنه لم يلتحق بها أصلاً.

كان ينزعج كثيراً (يحسده) من الأخبـــار الحـــسنة الـــواردة عـــن غريغوريوس في إدارته الناجحة ونفوذه المتنامي، ناهيك عن مكانته المرموقة دينياً وأدبياً، وكان بطرس يَعتبر ان ذلك يَحطُ مـــن قيمـــة الاسكندرية وسلطتها خاصة في الشرق إضافة لخلافات سابقة معه، فكان يحاول ان يخالفه دائماً، ثم أرسل بطرس مـــن مـــصر ســـبعة اشخاص بينهم أساقفة لرسامة الكلبي أسقفاً، واختاروا يوماً كـــان غريغوريوس مريضاً في الفراش، فاقتحموا الكنيسة ســـراً في الليـــل وأجلسوا الكلبي على الكرسي وباشروا برسامته، وعنـــدما بـــدءوا بقص شعره، بزغ الفجر وانتشر الخبر في المدينة فدخلت الـــشرطة وطردهم فأكملوا الرسامة في مكان آخر، وعندما عَلِم غريغوريوس بالمؤامرة تألم واستاء كثيراً من بطرس الاسكندري واســـتقال وأراد المغادرة، فقال له الشعب: "لست انت وحدك ستغادر القسطنطينية بل الايمان بالثالوث" فتراجع عن الاستقالة، ولم يسكت الكلبي بـــل ذهب إلى الامبراطور لينظر بالأمر، فأحاله إلى الأسقف اســـخيلوس لإبلاغ بابا روما واتخاذ القرار بشأنه، وبقيت المشكلة معلقة [1].

---

[1] كساب ص270_273، كذلك الأبوان ص156، وكان مكسيموس قد وُلـــد لأسرة وضيعة في الاسكندرية تنتمي لمذهب الكلبية التي تؤمن ان السعادة هي الفضيلة، والفضيلة هي الخير الوحيد، وكانت الطائفة تجتمع في مكان يُسمّى الكلب السريع.

ثالثاً: المسائل العقائدية

منذ سنة 325م تاريخ انعقاد المجمع المسكوني الأول انتشرت الأفكار الآريوسية، التي كانت تدور حول تحديد هوية الأقنوم الثاني (المسيح الابن) وعلاقته مع الآب، ثم بدأت تضعف وأصبحت نصف آريوسية (معتدلة)، ثم بدأت تتلاشى، ومنذ سنة 360م تقريباً، بدأت تظهر إلى الوجود من قِبل التيار الآريوسي المعتدل هرطقة جديدة هي، "بدعة إنكار الوهية الروح القدس" أي قضية تحديد هوية الأقنوم الثالث وماهيتهُ, وعلاقة الروح القدس مع الآب والابن، فهل هو إله مساوٍ لهما في الجوهر أم انه مشابه لهما؟ وهل هو مخلوق أم منبثق؟ وما هو الانبثاق وكيف حصل؟.الخ، وأول من روّج لهذه البدعة والأفكار هو اوسابيوس أسقف سبسطيا، ثم تبنّ هذه الأفكار كثيرون حتى سنة 381م، وأقلقوا الكنيسة في هذه الفترة، واهم هؤلاء الهراطقة وبدعهم:

1: اوسابيوس السبسطي: (300_376م) تلميذ آريوس، تربى ودرس في الاسكندرية, اصبح أسقف سبطيا سنة 356م ثم عُزلَ سنة 358م بسبب افكاره واُنتخب مار ملاطيوس مكانه، تجنب الاعتراف بإلوهية الروح القدس وكان يتملص من الجواب عندما يُسأل عنه، ثم اعترف قائلاً: أمّا انا فلا أتجرأ ان اُعطي الروح القدس اسم الله ولا اسم خليقة، وأخيراً اشترك سنة 376م في مجمع

كيزيك الذي تبنى القول بان الروح القدس مخلوق، أحترمـــهُ مـــار باسليوس الكبير في البداية لنسكه، ولما سقط في الهرطقـــة حـــاول إصلاحه، وعندما لم يصل معه إلى نتيجة، تَذكّرَ مار باسليوس بـــان اوسابيوس كان تلميذ آريوس سابقاً فقال عنه: لا يقدر الحبشي أن يغير لون جلده، كما أنّ الفهد لا يستطيع إن يمحو البقع عن وبره.

2: مقدونيوس أسقف القسطنطينية: اغتـــصب الكرســـي مـــرتين (342_346و351_360م)، وكان يعادي الأرثوذكسيين، وفي سنة 356م أراد نقل رفات الامبراطور قسطنطين الأول من كنيسة الرسل إلى كنيسة القديس اقاقيوس فتسبب في فتنة كبيرة سال فيها الدم، حضر مجمع القسطنطينية سنة 381م وأنكر الوهية الـــروح القدس زاعماً انه فعل إلهي فقط وليس أقنوماً ينبثق مـــن الآب، وان الابن هو الذي خلق الروح القدس ليكون خادماً له، وبان الـــروح القدس مخلوق مثل الملائكة، فحَرمهُ المجمع واختفى عن الأنظار، ثم اصبح اسمه يقترن بكثير من طوائف ناكري الوهية الروح القـــدس علماً انه لم يقوم هو بنفسه بتشكيلها، كما ليس له مؤلفات تُذكر، تشكلت طائفة باسمه "المقدونوسيون" الذين لُقبوا بأعـــداء الـــروح القدس، وخلاصة بدعتهم هي انهم لم يعتبروا الروح القـــدس إلـــه، واستندوا على بعض آيات من الكتاب المقدس التي تخص الـــروح القدس والتي فسروها أو حرّفوها كما يريدون، فمثلا كانوا يقرءون

"روح الله" ب "ريح الله أو بالله الروح" أو لأنه لا توجد آية تقول "سبحوا الروح القدس" لكن هناك آية في المزامير تقول "سبحوا الرب"،كذلك استندوا على آية "لأنه هو مكوّن الجبال وخالق الريح" (عاموس13:4)، وغيرها، وقد تصدى لهم باسليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي وأثناسيوس وغيرهم، ودحضوا آرائهم.

3: إفنوميوس: من اشهر المبتدعين بعد آريوس يسمّى بطل الآريوسية الجديدة، ولد عام 335م وتتلمذ لآئيتيوس الآريوسي وأصبح أسقفاً على كيزيك، ثم خُلع وسُجن سنة 358م والتجاء إلى افذوكيوس الآريوسي في القسطنطينية، وأخيراً نفي من قبل الامبراطور ثيودوسيوس سنة 394م، وقد أُدين في اكثر من مجمع وزعَم: ان الابن اول اعمال الآب وان الروح القدس اول اعمال الابن، وهو يأتي بالمرتبة الثالثة بعد الآب والابن في الكرامة والطبيعة، تصدى له مار باسليوس الكبير بقوة في ثلاث رسائل، ألّف كتاب اسمه الدفاعِ نسّقَ فيه تعاليم آريوس باسلوب فلسفي صارم.

4: أونوميوس: فلاح من بلاد غلاطية ابتلى بالبرص، اصبح أسقفاً على قوزيقوس سنة 360م، ثم عُزل، أنكر المساواة في الجوهر، واستعمل الفلسفة والمنطق في آرائه ضد سر الثالوث وقال إن المعمودية يجب إن تكون بغطسة واحدة وليس باسم الثالوث، وزعم بما ان الابن مولود فهو ليس إله (على طريقة افلاطون)، وغيرها.

5: أبوليناريوس:(310_390م) أسقف اللاذقية سنة 361م، من مفسري الكتاب المقدس في عصره، كان صديقاً حميماً لأثناسيوس الاسكندري وأسس مدرسة لاهوتية متأثراً بمدرسة الاسكندرية، حارب الآريوسية بضراوة في البداية، ومن شدة تطرفه للأرثوذكسية (وغالباً ما يقود التعصب إلى اخطاء) خرج بهرطقة، إذ أنكر ان للمسيح نفساً بشرية زاعماً إن اللاهوت حلّ محلها وامتزج بالناسوت واحتمل معه آلام الصَلب والموت، وان للاهوت المسيح افضلية على ناسوته وحاول ان يثبت ذلك حسابياً (رياضياً)، كما زعم إن الابن أعظم من الروح القدس والآب اعظم من كليهما، واستعمل فلسفة افلاطون وآخرين لدعم آرائه، مما جعل أثناسيوس يتخلّى عنه، كَتب عدة مؤلفات نُحلت أغلبها بأسماء آخرين [1].

6: ماراثونيوس أسقف نيقوميديا: كان يجدّف كثيراً في مواعظه على الروح القدس بحيث ان اعداء الروح القدس لقّبوا بالماراثونيين.

وآخرون كثيرون مثل، مرقلس، فوتينس، الفسيوس، وغيرهم.

---

[1] نُسبت قسم من مؤلفات أبوليناريوس إلى أثناسيوس الاسكندري بالخطأ مثل: الاتحاد بالمسيح، اعتراف ايمان موجّه إلى جوفيانوس، وفي تجسد الكلمة الإله، كما نُسب كتاب له إلى غريغوريوس الصانع العجائب، ويبدو ان تلاميذه ومؤيديه قد تعمّدوا بنَسبْ كتبهُ لأسماء مشهورة لكي تنال مصداقية. (الأبوان ص82و89، خريسوستمس ص156).

آباء مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

وبدأ الامبراطور ثيودوسيوس الكبير بتوجيه الدعوات إلى الأساقفة الشرقيين منذ اوائل سنة 381م، وبعث ثيودوسيوس برسالة خاصة إلى مار ملاطيوس تدعوه لحضور المجمع [1]، وحُددَ موعد انعقاده في الأيام الأخيرة من شهر أيار 381م، أي بعد عيد حلول الروح القدس (العنصرة)، وبدأ الآباء يتوافدون إلى القسطنطينية، وحضر مئة وخمسون أسقفاً وأباً من كبار وأعظم رجال كنيسة الشرق آنذاك وعلى رأسهم البطريرك مار ملاطيوس الذي سبق الكل في الحضور، وشمل الوفد الأنطاكي واحد وسبعون أسقفاً اغلبهم ممن تكرمهم الكنيسة المسيحية الجامعة بكل قُدسيّة ووقار منهم, غريغوريوس النزنيزي، كيرلس الأورشلمي، غريغوريوس النوسي، إمفليخوس القوني، ديونيسيوس السميساطي، بطرس السبسطي، وغيرهم من أساقفة الرها، فلسطين، سورية، العربية، فينيقية، بين النهرين، قليقية، عدا بعض الكهنة، وحضر من مصر تيمثاوس الاسكندري ودوروثيوس، ومن مكدونيا اسخوليوس التسالونيكي مع بعض أساقفته و لم يحضر من روما أي أسقف أو

---

[1] عساف ص625.

حتى موفد من قِبل أسقف، كما وصل ستة وثلاثون أسقفاً من انصاف الآريوسيين (المقدونيوسيين) وغيرهم من آسيا الغربية بزعامة الفوسيوس أسقف كيزيك، لكنهم وقبل انعقاد المجمع حاول الامبراطور التفاهم معهم وإيجاد حل لعودتهم للكنيسة وايمانها النيقاوي، ولكن دون جدوى، وفي عيد العنصرة تكلم غريغوريوس عن الروح القدس وايمان مجمع نيقية ودستوره، فلم تعجبهم تعابيره، وحاول الآباء بشتى الوسائل إقناعهم بالانضمام إلى المجمع ولكنهم لم يوافقوا وانسحبوا و لم يشتركوا في اعمال المجمع، وبقي الأرثوذكسيون فقط الذين اشتركوا في المجمع [1].

---

[1] لمعرفة اسماء الأساقفة المشاركين، راجع تاريخ ميخائيل السرياني ص242_245.

مار ملاطيوس العظيم يتوّج الامبراطور ثيودوسيوس الكبير في الحلم

كان الامبراطور ثيودوسيوس الكبير يسمع كثيراً عن قداسة وشهرة مار ملاطيوس العظيم ولكنه لم يكن قد رآهُ من قبل أو تعرَّفَ عليه لانشغاله بأمور الدولة السياسية، وكان يتمنى كثيراً ان يراه عندما تسمح له الظروف بذلك، وكان الامبراطور ثيودوسيوس قد رأى حلماً في المنام قبل عدة سنوات عندما كان ضابطاً في الجيش الروماني لدى غراسيانس أخو يوليانس الجاحد، أي قبل ان يصبح امبراطوراً للشرق بمدة قليلة، فقد شاهد ثيودوسيوس في منامه ان أسقفاً يُلبسهُ الرداء الملوكي ويتوّج رأسه بالتاج الملكي، وبالفعل وبعد زمن قصير رفعهُ غراسيانوس إلى مرتبة امبراطور الشرق، ولم ينسى الامبراطور ثيودوسيوس ذلك الحلم بل بقي الحلم وصورة الأسقف في ذاكرته، وكان يسأل نفسه دائماً ما إذا كان سيتعرّف في يوم ما إلى هذا الأسقف الذي رآه في المنام.

وقبل بدء اجتماعات المجمع وبمناسبة حضور الأساقفة من الشرق، دعا الامبراطور ثيودوسيوس الكبير الأساقفة والآباء إلى وليمة في قصره الملكي ليرحّب بهم ويتعرف عليهم علماً ان اغلبية الأساقفة ومنهم مار ملاطيوس طبعاً، لم يكونوا قد التقوا

بالامبراطور سابقاً، فحضر الأساقفة إلى القصر، وعندما أطلّ ثيودوسيوس ليسلّم عليهم ويرحّب بهم لَمحَ مار ملاطيوس بين الأساقفة عن بعد، فطلب منه ان يقترب اليه اكثر، فأقترب منه، ونظر الامبراطور اليه بإمعان فتعرف عليه في الحال، إذ ان صورته هي نفس صورة الأسقف الذي رآه في الحلم، فدنا الامبراطور ثيودوسيوس من مار ملاطيوس ولمسه وصافحه باحترام ووقار، وقبّل عَينيّه وصدرهُ ثم قبّلَ رأسه ويديّه، تلك اليدين التي توّجته في الحلم، وفي النهاية روى له قصة الحلم العجيب [1].

وبعد ان تباحث الأساقفة في امور الكنيسة حثّهم ثيودوسيوس على ان يعالجوا جميع المسائل بروح المصالحة والوفاق ووعدهم ان يساندهم بكل سلطانه، وفي نهاية اللقاء أغدق الامبراطور الهدايا على الأساقفة بكثير من مظاهر التكّريم والتبّجيل والاحترام والتي نال الحصة الكبرى منها مار ملاطيوس العظيم حيث بالغ الامبراطور ثيودوسيوس في إكرامه وتقديره.

---

[1] اغناطيوس أفرام ص537، وأيضاً إسوذورس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ص189، ولومند الفرنسي، تاريخ المسيحية ص224، كذلك الأبوان ص168.

مار ملاطيوس العظيم رئيساً لمجمع القسطنطينية المسكوني الثاني 381م [1]

بعد 56 سنة من دخول الامبراطور قسطنطين الأول الكبير مجمع نيقية ظافراً حيث استقبله البطريرك مار أسطثاوس السرياني رئيس المجمع وسَلفْ القديس مار ملاطيوس السرياني العظيم، هكذا دخل ايضاً امبراطور الشرق الأرثوذكسي ثيودوسيوس الكبير إلى مجمع القسطنطينية ليستقبله رئيس المجمع مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم، ليكون بذلك خير خلف لذاك السلف، معلناً افتتاح اعمال المجمع، حيث ترأس مار ملاطيوس المجمع واحتضن الجميع بهمته، وكان الشيخ الوقور والأبرز بينهم، والمجاهد الصبور الذي تحمل النفي من اجل الايمان، وقد ناقش الآباء المشاكل المتعلقة التي شغلت الكنيسة سواءً من الناحية الادارية أو العقائدية ووضعوا لها الحلول المناسبة، وحَرموا الهراطقة والمبتدعين وأصدروا أربعة قوانين مهمة لحل المشاكل الكنسية آنذاك.

---

[1] تُسمّيهِ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بمجمع القسطنطينية المسكوني الثاني فقط، أمّا المصادر التاريخية وخاصة الغربية فتسمّيه القسطنطينية الأول المسكوني الثاني، لان هناك عدة مجامع محلّية (غير مسكونية) عقدتها كنيسة روما في القسطنطينية فيما بعد.

قوانين مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

1 : (القانون الأول) فيما يخص البدع وخاصة بدعة الروح القدس، "يجب ان لا يُبطل أحد قوانين ايمان الآباء ال 318 الذين اجتمعوا في نيقية بل ليبق ذلك الايمان ثابتاً، ويجب ان تُقطع كل هرطقة وبخاصة هرطقة، الآريوسيين، الافنوميين، الافذكسيوسيين، ومحاربي الروح القدس المقدينوسيين، السابليين، الابوليناريين، الفوتينيين، ثم رتّبوا الجزء الثاني من قانون الايمان والذي يخص الروح القدس: "ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي الكل، الذي من الآب ينبثق، الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسوليه، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، والحياة الجديدة في العالم الآتي. آمين.

2 : (القانون الثاني): يخص الأزمة الأنطاكية، وفيه بحثوا امر الشقاق وشرعية البطريرك مار ملاطيوس، واعترفوا بالقديس مار ملاطيوس العظيم بطريركاً شرعياً لكرسي بطرس الرسولي (أنطاكية)، وأوجب القانون على عدم تدخل الأساقفة في شؤون غيرهم ومَنَعَ القانون تحديداً الأسقف الاسكندري المصري من التدخل في شؤون أنطاكية وأبرشياتها وهذا نصه: لا يتدخل الأساقفة حدودهم لأجل الإدارة ولا يشوشوا الكنائس، بل وفقاً للقوانين، لأسقف الاسكندرية ان يسوس الذين في مصر فقط! ولأساقفة الشرق ان

يدبروا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي نصّت عليه قوانين مجمع نيقية لكنيسة أنطاكية، وليدبر أساقفة آسيا كنائس آسيا، والبنطس كنائس بنطس لا غير، وأساقفة تراقيا لكنائس تراقيا وحدها، ولا يخرج الأساقفة من حدود أبرشياهم لإقامة الرسامات أو لأية خدمة كنسية إلاّ بدعوة وفقاً لقانون مجمع نيقية الذي يقضي بان يُنظر في امور كل ولأية مجمع تلك الولاية نفسها [1].

3 : (القانون الثالث) يخص أسقف وكرسي القسطنطينية الذي تأسس حديثاً (50سنة تقريباً) حيث اعتُبر ظلاً لكرسي روما، لكنه لم يعتبروه كرسياً رسولياً: وأمّا أسقف القسطنطينية فليكن له مكان الإكرام بعد أسقف روما لان القسطنطينية هي روما الجديدة.

4 : (القانون الرابع) مشكلة مكسيموس الكلبي واغتصابه كرسي القسطنطينية بمساعدة بابا الاسكندرية بطرس الثاني، نرسم بما يلي: ان مكسيموس الكلبي لم يكن أسقفاً إطلاقاً، وليس أسقفاً الآن، ولا جميع الذين سامهم في درجة من الدرجات الاكليريكية (الكهنوتية)، لان كل ما جرى من جهته وما قام به يعتبر باطل.

---

[1] سويريوس يعقوب ص259، كذلك حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي ص264، وأيضاً الأبوان ص 342.

علماً إن هناك كتب تاريخية تَنسب بالخطاء ثلاثة قوانين زائـــدة إلى قوانين المجمع فتعتبرها سبعة، والحقيقة ان الثلاثة قوانين الأخـــيرة من السبعة هي لمجمع القسطنطينية المحلي الذي عُقد ســـنة 382م، ومنها رسالة الغربيين إلى الأنطاكيين والتي يقولون فيها: انهم يقبلون الذين يعترفون في أنطاكية بوحدة الالوهية في الآب والابن والروح القدس، ومصدر هذا الخطأ هو النسخة اليونانية للقوانين.

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني (381م)

كنيسة السلام الإلهي، مكان انعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة381م حسب تقليد بيزنطي قديم وهي من القرن السادس، وقد شُيِّدت على أنقاض كنيسة من القرن الرابع للميلاد

وفاة القديس مار ملاطيوس العظيم أثناء انعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

ما ان تقدم المجمع في اعماله عدة ايام وفي أواخر شهر أيار 381م حتى مرض مار ملاطيوس العظيم الذي كان مرهقاً من تعب السنين والنفي والتشرد في سبيل الرب، وفي إحدى جلسات المجمع سقط مار ملاطيوس فجأة بين الآباء شهيداً للايمان، وتوفي هذا القديس الجليل العظيم وسط الجميع ليلبي دعوة ربه ويذهب إلى الملكوت في هذا الوقت المبارك وليقول مع الرسول بولس "جاهدت الجهاد الحسن أكملتُ السعي حفظتُ الايمان 2تي4:7".

فساد الحزن والذهول وجوه الجميع، وأمر الامبراطور بإقامة جنازة تشيع رسميّة فخمة، فبكاه الامبراطور ثيودوسيوس والأساقفة والآباء والشعب بدموع ساخنة، وقد قام في تأبينه في البداية القديس إمفيلوخوس القوني، ثم انبرى القديس مار غريغوريوس النوسي في تأبين القديس مار ملاطيوس العظيم بصورة مؤثرة أبهرت الجميع وجعلت من كلماته وعباراته أنشودة تتغنى بها الأجيال إلى اليوم [1].

---

[1] لا تزال كثيراً من الكلمات والجمل والعبارات التي استعملها غريغوريوس النوسي في تأبين مار ملاطيوس تُستعمل من قبل آباء الكنيسة في مناسبة وفاة أسقف إلى اليوم.

ففي البداية حيّا روحه باسم المجمع معلناً ان به زاد عدد الرسل رسولاً آخر مصوراً تصويراً حيّاً مكانته وقداسته وسمو فضائله، وجهاده الروحي، ومبيناً كيف صُبّت قارورة الميرون (الزيت المقدس) كلها عليه اثناء مسحه وهو مسجّى، وكيف كانت المناديل تُخطف من على وجهه ليتبارك بها المؤمنين.

ثم أمرَ الامبراطور بنقل جثمانه من القسطنطينية إلى أنطاكية ليدفن في كرسيه هناك وأصدر امراً ملوكياً خلافاً للعادات الرومانية بوجوب تزيّح الفقيد في كل المدن والشوارع الرئيسية التي يمر بها، لكي تؤدي له الشعوب الإكرام اللائق بالأحبار القديسين، فاستقبلته المدن والبلدات بالصلوات والتراتيل والشموع، وكان الشعب يتزاحم للتبرك من نعشه المبجّل، وعندما وصل إلى أنطاكية خرجت المدينة بأسرها لاستقبال بطريركها أبو الآباء الذي عاد إلى كرسيه في نعشه، ليسجل بذلك اكبر انتصار لفضائله وأبلغ تعويض لإتعابه ومشقاته في سبيل الرب وكنيسته المجيدة، وقد وصف القديس الذهبي الفم إقبال المؤمنين على نعش القديس مار ملاطيوس بانه كاجتماع النحل على الشهد.

وتم دفنه إلى جوار القديس بابيلا الشهيد في نفس المكان الذي كان مار ملاطيوس العظيم قد شيّدَ كنيسة على اسمه سنة 378م عندما عاد من المنفى، ويوجد اليوم قسم من رفاته في كنيسة القيامة

في القدس، كما يوجد بعضها ايضاً في المعهد اللاهوتي في خـــالكي في مدينة اسطنبول [1].

وهكذا بقي القديس مار ملاطيوس العظيم مثالاً مكمّلاً للأحبار في قداسة الحياة وخدمة المؤمنين، وقد تغنى كثيراً من القديـــسين في رثائه ووصف محاسنه وقداسته حتى بعد قرون من وفاته.

فالقديس غريغوريوس اللاهوتي وصفه بانه أسقف قديس، تقي، وديع، مخلص في عمله، لطيف في معشره، كريم النفس، متواضـــع القلب، كُنّا نرى انوار الروح القدس تتلألأ على محياه.

والقديس يوحنا الفم وفي موعظته الرائعة التي تفوه بها 12 شباط 386م بعد خمسة سنوات من وفاته حيث دعاه قديساً وأباً محبـــاً لكل أنطاكية التي كانت حاضرة، واستطرد وقال، ان القديس مار ملاطيوس ليس بعد مرئياً لعيون الجسد، ولكن بكم انتم ثماره تظهر لنا قوة النعمة التي فيه، حتى ولو لزمتُ الصمت فان هـــذا المحفـــل وحرارة غيرتكم كفيلان بان يدّويا بقوة اشد من دوي البوق محبـــة ملاطيوس لأولاده، فلقد أضرمَ نفوسكم بمحبته لدرجة انه بمجـــرد ذكر اسمه تشتعل النفوس وتنبعث.

---

[1] بيطار ص 85.

أمّا يوحنا الدمشقي (متوفي749م) فقد اعتبره شهيداً.

وتذكاره في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنائس السريانية الملكية (الأرثوذكس والكاثوليك)، والسريان الموارنة، والكنيسة القبطية والبيزنطية والكنيسة اللاتينية الغربية في 12 شباط من السنة، كما يوجد اسمه في كل سنكسارات (سير القديسين) هذه الكنائس، كما وضعت له بعض الكنائس صلوات خاصة له في طقسها.

البطريرك القديس مار ملاطيوس العظيم مُسجّى أمام
الآباء في وسط مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

كلمة القديس غريغوريوس النوسي (النيّصي) في تأبين القديس مار ملاطيوس العظيم [1]

لقد زاد لنا عدد الرسل في هذا الرسول الجديد، هذا الذي أُدمج مع عدد الحواريين، لقد جذب اليهم القديسون البواسل هذا الباسل، المتوّجون هذا المتوّج، النقية قلوبهم هذا النقي القلب، ومبشري الكلمة هذا المبشر، أجلْ ان أبانا لسعيد في الرحاب السماوية وبالانطلاق إلى المسيح، أمّا نحن فتعساء لان غباوة التيتّم لا تفسح لنا في تطويب أبينا الصالح، فهو خير له ان ينطلق ليكون مع المسيح، أمّا نحن فيعزُ علينا الانفصال عن رئاسته الأبوية.

انها لساعة المشورة والمشير صامت، دارت بنا رحى حرب الهراطقة، والقائد مفقود، أجهد الداء جسم الكنيسة كله ولا نجد له آسيًاً، هل قدّرتم الأحوال التي نحن فيها؟ كنت أودُ لو أمكنْ ان أُشدّد ضعفي وارتفع مع فداحة الحدث فأرسلُ صرخة بصوت عظيم في رثاء أبينا توازي هذه الكارثة، كيف أُجبرُ لساني على حَبكْ الكلام وقد قيّدته المصيبة كالسلسلة؟ كيف افتح فمي وقد

---

[1] سويريوس يعقوب ص261_270، منقولاً ومترجماً من السريانية إلى العربية عن كتاب التراجم السنوية السرياني للآباء الأرثوذكسيين.

أطبقته الدهشة؟ كيف ألفظُ زفرات الألم والنواح وقد جنح الفم عن عادته؟ كيف أُحدّقُ بعين النفس وأنا مغلّف الأهوال؟ ليتَ من يبدد عني هذه السحابة الدكناء وظلام البلية، فيعود يشرق شعاع الأمن المنير وهاجاً، هل يتلألأ الشعاع وقد طُمسَ كوكبنا؟ يا للداهية العمياء! أين كلامنا اليوم من حديثنا بالأمس؟ انهما متناقضان، آنذاك رنّمنا اهازيج الأفراح، أمّا الآن فنتنهد على الكارثة مغمورين بالأحزان، حينذاك هتفنا في العرس والآن ننوح على الجنازة.

إنكم تتذكرون كيف لذذناكم بالعرس الروحاني عندما كنا نزف اليكم الختن والعريس لصالح، مقدّمين هدايا خطبنا على ما في طوقنا وقد كنا نفرح ونفرّح، أمّا الآن فقد استحالت افراحنا اتراحاً وصارت بزة الابتهاج مسحاً، وربما كان الصمت أجدى فنقيّد الألم من الداخل صامتين لئلا نعكر على بني العريس إذ ليس علينا رداء العرس الجميل لان العريس المبجّل قد ارتفع عنّا وللوقت ارتدينا السواد حزناً، وليس لنا تنميق الخطاب كالعادة لان الحسد قد سلبنا بردتنا الزاهية، لقد جئناكم ونحن مفعمون بالخيرات وها نحن نعود من لدنكم معوزين عراة، كان سراجنا محكماً فوق هاماتنا يسكب النور فحملناه الآن مطفأً يسكب دخاناً ورماداً، كان لنا الذخيرة في إناء خزفي بيد ان الذخيرة قد فُقدت، أمّا الإناء الخزفي فانه يُدفع

إلى مانحيه خاوياً فماذا سيقول المرسِلون؟ وبما يجيب المسئولون؟ يا للصدمة السوداء! فقد عصفت برجائنا ونحن في قلب الميناء راسون! كيف غرقت السفينة المثقلة بالربوات التي كانت تجعلنا من ذوي الثراء وبغرق حمولتها اصبحنا عراة! اين شراعنا المجيد الذي كان يسير دائما بهدي الروح القدس؟ أين بهاء نفوسنا وسكّانها الذي بواسطته كُنا نخوض تيارات الهراطقة غير هيّابين؟ اين ثبات العقيدة الذي كُنا نفزع اليه بكل حذر واثقين؟ اين الملاح الحكيم الذي كان يقود السفينة نحو الهدف الأسمى؟ فهل ان الحوادث التي ألّمت بنا ليست خطيرة؟ وهل اننا نحزن جزافاً؟ أم اننا بالأحرى لسنا للخطب كفوئين وان أسهبتُ في الحديث.

استدروا ايها الاخوة دموع الآلام لقد شاركناكم في بهجتكم عندما كنتم فرحين، فردّوا علينا هذه المقايضة الحزينة، قال الرسول "افرحوا مع الفرحين" لقد فعلنا نحن ذلك، ابكوا مع الباكين(الرؤيا 15:12)، فأتمّوا انتم ايضاً هذا، لقد بكى يوما الشعب الغريب يعقوب أبو الآباء، وخَصّوا بهم الحادثة الغريبة عندما ارتحلوا من مصر التي كانوا منها، وكانوا يندبون حظهم بين شعب في ارض غريبة مواصلين العويل عليه ثلاثين يوماً وليلة بدون انقطاع، فتشبهوا انتم بهؤلاء، فقد كان البكاء فيه شاملاً من الأهل والغرباء (العبرانيون والمصريون)، فليكن الآن إذن شاملاً، لان المحنة ايضاً

شاملة، أترون هؤلاء الرؤساء؟ إنهم جميعاً بنوا يعقوب، كلهم احرار لا عبد فيهم ولا دخيل، إذ ليس من اللياقة ان يدخل جنس العبيد على جنس الإيمان الرفيع، فهو أبوكم ايضاً، أجل انه أبوكم وقد سمعتم عن افرأيم ومنسى ماذا قالوا عن الأب، وكم افاضوا في الحديث كما تفوق العجائب الوصف، فاسمحوا لي انا ايضاً ان اقول شيئاً عن هذا لاسيما واننا لسنا الآن في خطر (الآريوسية) إذا ما طوّبناهُ، أجل لست خائفاً وهل يستطيع احد ان يحتمل أقوى من هذه الضربة؟ فاعلموا إذن أي رجل هذا (مار ملاطيوس)، جليل من مشارق الشمس [1]، صدّيق بلا لوم تقيّ الله، متجنّب كل أمر رديء، فلا يغار أيوب العظيم فقد كانت آلامه تُحلّى بالشهادة التي وردت في الكتاب عنه، فان الحسد (الشيطان، أيوب1: 7) الذي يتجول في كل المعمورة ليرى كل ما هو خير وحسَن، قد نظر إلى خيرنا بعين حمقاء فأرسل خطوة الألم إلى امورنا الحميدة، لا لكي يُفني قطعان الثيران أو الغنم (أي1: 14)، أو الجمال أو المواشي، ولا لكي يسلبنا حواسنا بالقروح التي تحرق الجسد، بل سلبنا هامتنا ومع الهامة رحلت الحواس الشريفة ايضاً، لقد أُغمضتْ تلك العين التي كانت ترى السماويات، وصُمّت تلك الأذان التي كانت تصغي إلى

---

[1] يعني كرسي أنطاكية الذي يرأس الشرق كله.

الصوت الإلهي وأُسكت ذلك اللسان، إناء الحق الطاهر المقدس، اين هدوء العينين الحلوتين؟ اين سكون الشفتين الباسمتين الجميل؟ ايـــن تلك اليمين سائلة السلام التي تحرك الشفتين ببركة الفم؟.

يطيب لي ان أُذيع الخَطبْ في حضرة الشعب، انا مشفق عليـــك أيتها الكنيسة واليك أوجه كلامي يا مدينة انطوخيوس (أنطاكية)، أتنهد عيك لهذا التبدل السريع، كيف اُبتزّ جَمالكِ مـــن حَـــلاكِ؟ كيف ذُبلتْ زهرتك فجأة؟ حقاً يَبسَ العـــشبُ وســـقط الزهـــرُ (اش40: 7 و1بط1: 24)، ما هذا الحسد المقيّد الذي تراكم ضـــد الكنيسة؟ أي امور جليلة تبدلت بأمور وضيعة! لقد نضبَ المعـــين، جَفّ النهر، بل وقد ارتدت المياه دماء! آه من البشرى السيئة الـــتي تبشر الكنيسة بالبؤس! من يخبر الابناء الذين تيتموا؟ مـــن يبـــشر العروس الأليم؟ اُفٍ من الشر ماذا اعطى وماذا اخذ؟ لقد اعطـــى نعشاً واخذ تابوت العهد، أجل ايها الاخوة، لقد كان هذا الرجل: تابوت العهد، تابوتاً ضمّ الأسرار الإلهية، كـــان ذلـــك التـــابوت (عب9: 4) في العهد القديم يحوي قسط الذهب المملوء منّاً مغذياً، وهذا نفساً ذهبية مملوءة قوتاً سماوياً، ذلك لَوحَي الـــشهادة وهـــذا لوحَيَ القلب المحبّرتين بروح الله الحي، لأنه ما من شيء مظلـــم أو قاتم كان يدنس القلب السليم، ذلك التابوت، عصا الكهنوت الذي تلألأ على يدي هذا القديس، وإذا سمعنا بان ذلك التابوت كـــان

يحوي اموراً أخرى جميعها كانت مختزنة في نفسهِ (نفس مار ملاطيوس)، لكن ليصمت اللسان عن هذه الأمور، ان المناديل النقية والأقمشة الحريرية مع رائحة الميرون والأطياب، وهبة المرأة المزيّنة بالعفاف، فلنتكلم عنها نضير غيرها لكي تكون شهادة لما فعلت في الكاهن (أي مار ملاطيوس) بسخاء عندما صُبت قارورة الميرون على هامة الكاهن، لكن من هو الذي ينجو بهذه الأمور؟ هل العظام الميتة؟ فقد كانت قبل الموت ايضاً تلهج بالموت وتتذكر مآسي الضيقات، أو أي صوت ايضاً يُسمع في الرامة، راحيل لا تندب بنيها بل بعلها ولن تقبل تعزية، كفّوا أيها المعزون كفّوا لا تضطروها على العزاء، فلتندب الأيَم كثيراً لتشعر بالخسارة التي فُجعت بها مع انها ترنو بتبصر لأنها استيقظت على معارك الجهاد الباسل لكي تبصر على الترمل.

إنكم لتذكرون الخطبة الأولى كيف سردتْ لكم جهادات الرجل، فانه في كل شيء كان يكرم الثالوث الأقدس وقد حصل على كرامة بعدد مبارزاته لأنه نزل إلى حمى الوغى ثلاثاً [1]، سمعتم سلسلة جهوده وعن مكانته في المتقدمين ومنزلته في المتوسطين

[1] يعني عندما نفي مار ملاطيوس ثلاث مرات.

وقَدرهُ في المتأخرين، الأمر الذي طالما كرّرته وقد ذكر بلياقة، لكنني اتناول هذا فقط ولعله وقته، فمنذ بادئ الأمر عندما وقــع نظــر الكنيسة العفيفة على هذا الرجل فرأت مُحيّاً مطبوعاً حقــاً علــى صورة الله، رأت فيه حباً متدفقاً وشاهدت النعمة تفــيض علــى شفتيه، عاينت قمة تواضع الضمير ليس بعده تواضع، رأت داود في تواضعه، سليمان في ذكائه، موسى في حلمه، صموئيل في ثباتــه، يوسف في عفته، دانيال في حكمته، ايليا العظيم في غــيرة ايمانــه، يوحنا الكبير في عدم بلاء جسده، عندما عاينت الكنيسة انسكاب هذه الخيرات في نفس واحدة (أي نفس مار ملاطيــوس)، هامــة بمحبته السعيدة، وقد أحبّت عريسها بالنقاوة والعفاف النبيل، بيــد انها قبل ان تنال مشتهاها وقبل ان تُمّم محبتها وبينما كانت تضطرم هياماً هجرته وحيدة، إذ كانوا يتــهيبون بالباســل إلى مقارعــة الخطوب، فكان العريس يناضل عن الحق بعرق جبينه، أمّا العروس (الكنيسة) فكانت محتسبة تحافظ على عفاف القران وكان ردحــا مديداً، فسوّلت لعاهر نفسه ان يمد يديه إلى الخدر غير المدنس [1]، لكن العروس لم تتغضن، ثم عاد من المنفى ثم نفي ثانية فثالثة حــتى قهر الرب ظلام الضلال، ولما ألقى شعاع السلام سُمح بان ينــال

---

[1] يعني افوذيوس الآريوسي الذي أقامه الآريوسيون بدل مار ملاطيوس في نفيه الأول.

قسطاً من الراحة لقاء أتعابه الطويلة، فعندما تقابلا العروسان عــادا إلى ريعان الشباب وتمتعا بالبهجة الروحيــة والنعــيم الروحــي، فاضطرمت المحبة وإذا بهذا الانفصال الأخير يُقطع على حين غــرة ذلك النعيم، لقد جاء ليزينكم بحلل العرس و لم يثنِ عن الاجتــهاد، فعقد للقِران النبيل تاجاً وبركات، محاكيّاً سيده، فكما صنع سيدنا بقانا الجليل هكذا فعل شبيه سيدنا هنا، فان الترع اليهوديــة الــتي كانت مليئة بالمياه الهرطوقية قد ردّها طافحة خمره فــاخرة، أجــل وأحال الطبيعة بقوة الايمان، كم نصبّ فيكم روح اليقظة إذ كــان يسقيكم النعمة دائما بواسطة ألفاضه العذبة، كم وكم مدّ أمامكم مناهل العلم العديدة اطيابه؟ وبكونه رئيساً كان يبارك، أمّا أولئــك التلاميذ الأفاضل فقد كانوا يخدمون الجموع وهم يبسطون الكلمة، ونحن كنا نتلذذ ناسبين الينا مجد ابن جنسنا.

ما أجمل الحديث إلى هنا لكن ماذا بعد هذا؟ لقد قال ارميا: ادعو النائحات فانه لا مندوحة للتنفيس عن الفؤاد الغارق في الأشجان، لأنه سوف يخفف غليان الاضطراب بالعبرات والحسرات، آنــذاك كان يعزي بالانفصال رجاء العودة، أمّا الآن وقــد انفــصل عنــا الانفصال الأخير فبينه وبين الكنيسة هوّة عظمى، هــو يرتــع في احضان ابراهيم وليس من يحمل نقطة الماء ليبّرد ألسنة النــائحين، رحل ذلك الجَمالْ، سكت ذلك الصوت، اُطبقت الشفتان، والنعمة

فارقت، كأن الميراث الصالح رواية، لقد احزن ايليا يومـــاً شـــعب إسرائيل حين ارتفع من الأرض إلى الله، لكن اليشع عزّى الانفصال إذ كان يرفل بنداء المعلم أمّا الآن فالجرح لن يشفى لان أيليا ايـــضاً قد صعد واليشع كذلك لم يُترك، سمعت إرميا يرثي مدينة أورشليم الخربة بعبارات محزنة شجيّة منها قوله"طُـــرق صـــهيون نائحـــة، مرا(4:1) " لقد قيلت هذه الألفاظ آنذاك بيد انها تمت الآن، عندما نذيع خبر البلية فحينئذٍ تمتلئ الطرق من النـــائحين ويـــسكب ذوو النهي منهم نفوسهم محاكيين صرخات اهل نينوى في هذه المصيبة، ولعلهم ينوحون ايضاً اكثر من أولئك متألمين، أولئك فرط عويلهم رعبهم أما هؤلاء فلا يُرجى لهم تبديل شيء من هذا العويل، انـــي اعرف ايضاً عبارة اخرى لإرميا مدونة في سفر المزامير وقد عقدها على سبي إسرائيل عندما كانوا يجلسون على انهار البابليين يبكـــون ذكريات امجادهم إذ يقول النص" على الصفصاف علّقنا أعوادنـــا (مز2:137) أي انهم أخرسوا أصواتهم وأعوادهم، أمّا الآن فـــانني اعتبر هذه القطعة مقطوعتي، فإذا ما لاحظت البلبـــال الهرطـــوقي، فبابل هي البلبال، وإذا تدبرت الكوارث الناتجة عن البلبال فهي مـــا عبّرت عنها بالنهار البابلية التي نحن جالسون عليها نبكي إذ ليس لنا من يعبّرنا بها، ولئن قلتَ بشأن الصفصاف والأعواد المعلقة عليهـــا فهذا المثل ايضاً هو لي، بالحقيقة ان العالم صفـــصافة والصفـــصاف شجر بلا ثمر، وبما ان ثمرتنا الحلوة (يعني مار ملاطيوس) قد جنحت

عن الحياة! صرنا صفصافاً بلا ثمر، فعلّقنا على الخشبة أعواد المحبة صامتة هادئة، "ان نسيتك يا اورشليم تنسيني يميني (مز137:5)، وأذنوا لي ان احوّر النص قليلاً، لسنا نحن الذين نسينا يميننا لكن يميننا أُغفلت، وعندما التصق اللسان بالحنك (مز137:6) سَدّ مخارج الصوت لكي لا نسمع بعدُ تلك النغمة الرخيمة، إنني اشعر باني لا اتكلم كراثٍ بل انوح على هذه النازلة النزلاء فوق ما تنوح به النساء، لم يرحل العريس من بيننا انه منتصب في وسطنا وإن كنا لا نشاهده، إنّ الكاهن في قدس الأقداس داخل الحجاب حيث سبق المسيح فدخل لأجلنا، زال حجاب الجسد ولن يخدم بعد الأمور السماوية بالرمز والظل، إنما يحدق بصورة الحقيقة، لن ينظر إلى الله بعد بالمرآة واللغز بل يكاشفه وجهاً لوجه، انه يسأل الله لأجلنا ولأجل امور العالم المجهولة، لقد خلع عنه قمصان الجلد (تك3:21) التي لا يحتاج اليها الذين في الفردوس، لان له ثياباً نسجها لنفسه من السيرة النقية، عزيز في عيني الرب موت اتقيائه (مز137:6) عفواً!ليس موتاً! إنما انحلال القيود كقوله حللت قيودي، لقد أُطلق شمعون وأُعتق من قيود الجسد(لو2:29)، حُطم الفخ أي العالم المادي، اجتاز ليس البحر الأحمر إنما بحر هذا العالم المظلم القاتم داخل ارض الميعاد، وها هو يخاطب الله فلسفياً من فوق الجبل خلع حذاء النفس (الجسد) لكي يعترف في الأرض المقدسة بتيقن الضمير النقي حيث يُعاين الله.

ايها الاخوة: ما دام لنا هذا العزاء فانتم الذين ستنقلون عظام يوسف إلى موطن البركة، فاسمعوا بولس واعظاً "لا تحزنوا كسائر الناس الذين لا رجاء لهم (تس4:13) قولوا للشعب هناك، أذيعوا القصة الثمينة، انشروا المعجزة الفائقة العقول، اعني كيف ازدحمت ربوات البشر فوق البحر وحمّلوا الضغط حوالي الجثمان حتى ظهروا وقت التشيع، وكيف ان داود الجميل قسّم ذاته بأنواع وطرق مختلفة بين ربوات الفرق محتفياً بالجثمان بواسطة موحّدي اللسان، وكيف تدفقت انهار نار من كل فجّ بازدحام المصابيح التي ظهرت كأنها سفينة في مياه جارية ممتدة إلى ما لا تستطيع العين رؤيته.

حدثوا جميعكم عن احتفاء الشعب برصيف الرسل، حتى ان المناديل التي على جسمه كانت تخطف من المؤمنين، ولنضف إلى هذه القصة كيف ان الملك وضع في صندوقه وهو منتصب عن عرشه، وكيف ان المدينة برمتها تخرج لتشيع هذا القديس، عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام ان سليمان يشفي هذه الكآبة شفاءً حسناً، ذلك انه أوصى بان تعطى الخمرة للمفجوعين، لكم اقول ايها الكرّامون، اعطوا خمركم للمحزونين لا للسكارى، إنما لمن يبهج قلبه بمزيجها المنعش، واقبلوا الخمرة في كؤوس الكلام بمعزل عن الحسد لكي يصبح غَمّنا سروراً، بيسوع المسيح ربنا الذي له الحمد إلى ابد الآبدين آمين.

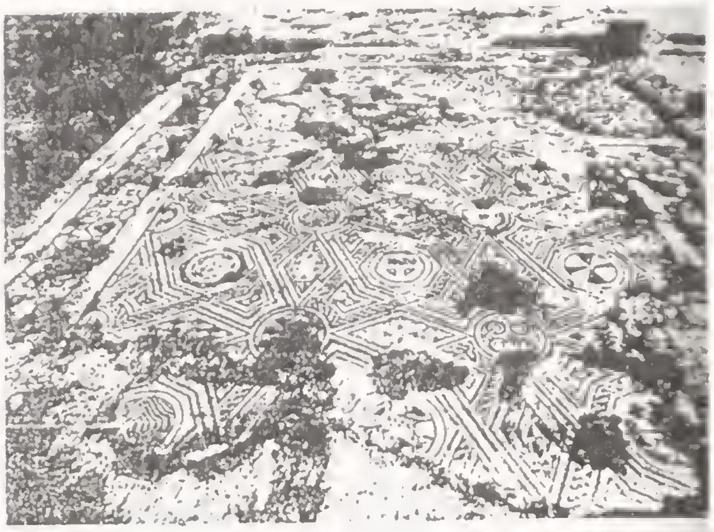

- فسيفساء الجناح الجنوبي

- فسيفساء الجناح الشرقي

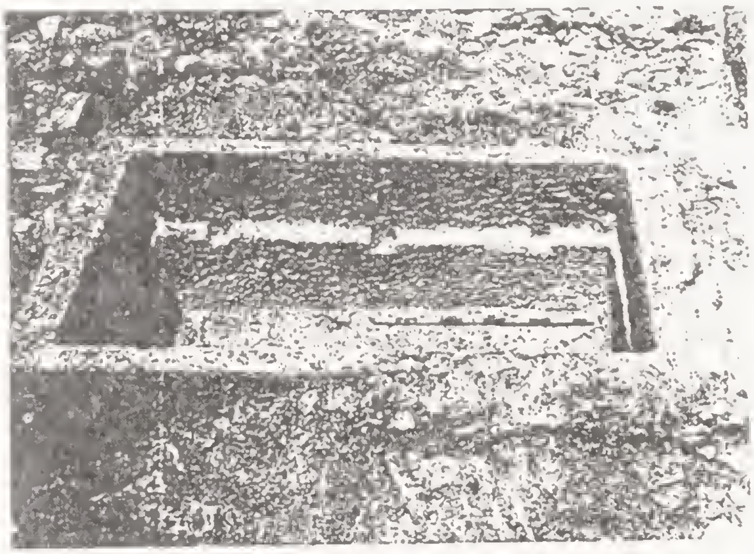

- ناووس "البطريركَين" بابيلا وملاتيوس

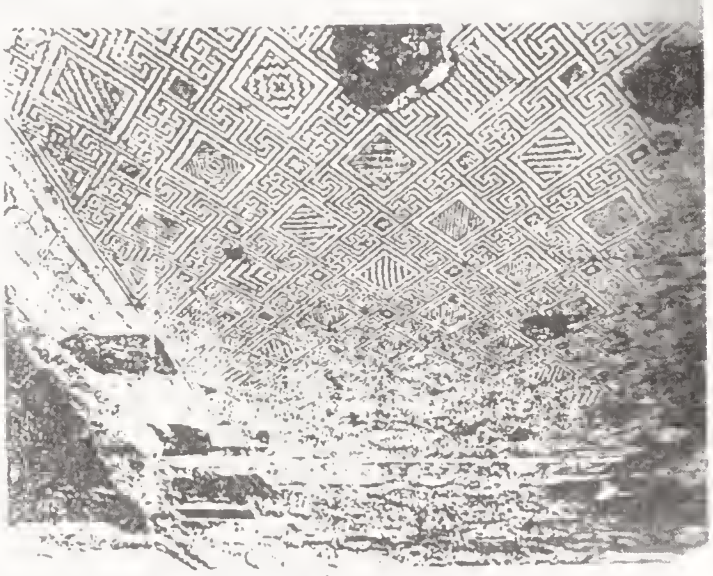

- فسيفساء الجناح الشمالي

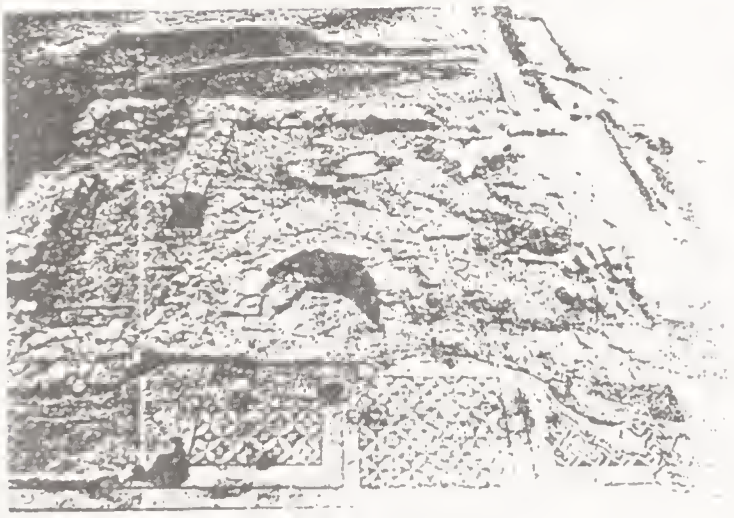

- فسيفساء دار العماد

ضريح البطريركين القديسين مار ملاطيوس العظيم ومار بابيلا الشهيد في دفنة قرب أنطاكية

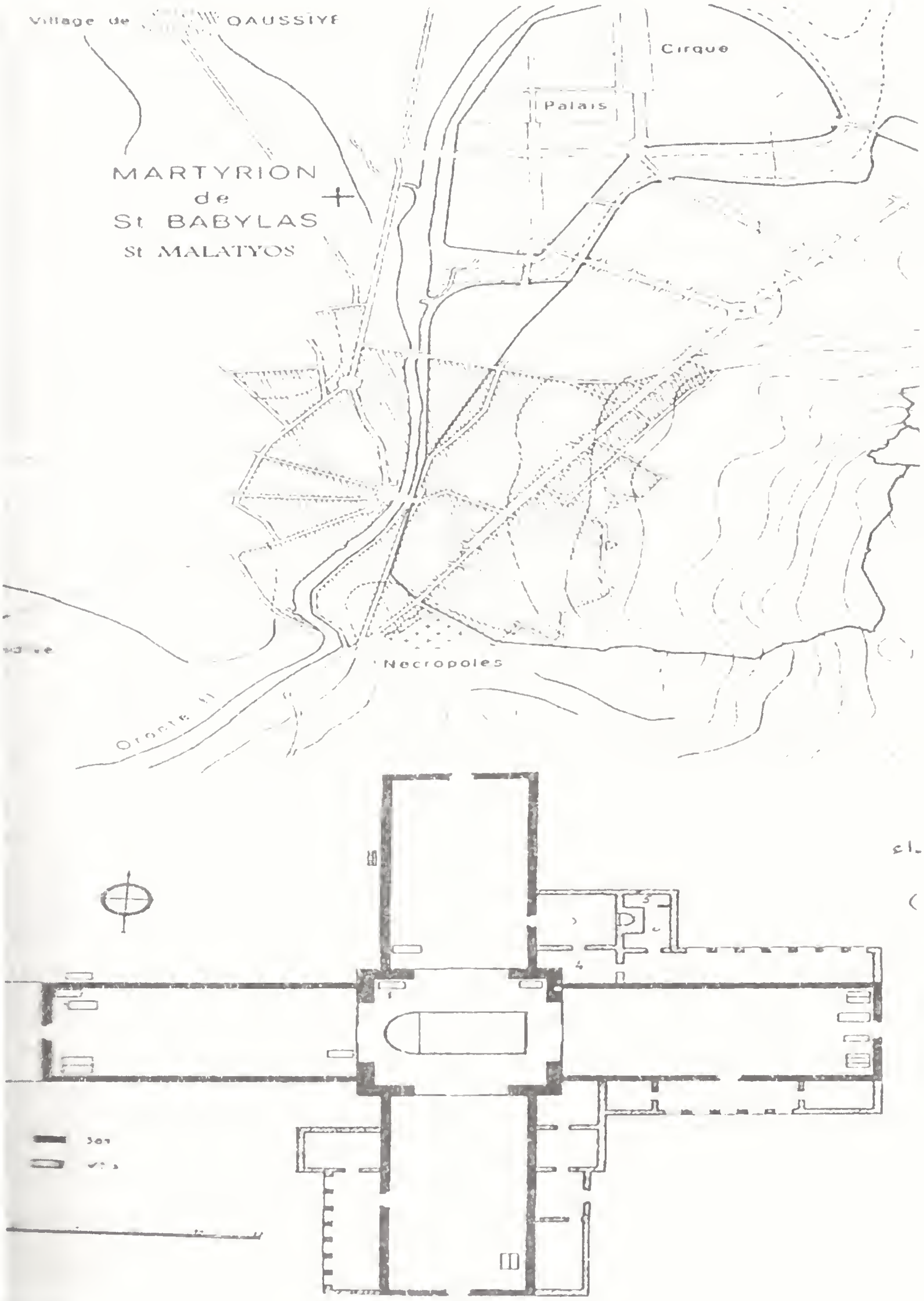

موقع ضريحي البطريركين مار ملاطيوس العظيم ومار بابولا الشهيد في دفنة قرب أنطاكية ومخطط لكنيسة القوسية التي بناها مار ملاطيوس العظيم على شكل صليب

أسباب خلاف أنطاكية مع روما والاسكندرية

1 : السلطة السياسية (القومية والجغرافية): منذ بداية المسيحية، نشأة الكراسي الرسولية الثلاثة، أنطاكية، روما، والاسكندرية. وكانت كنيسة روما سيدة الغرب تحاول ان تعطي لنفسها الأولية وتفرض هيمنتها على الآخرين من خلال الأباطرة والحكام باعتبارها عاصمة الامبراطورية الرومانية القوية آنذاك، خاصة بعد اعتناق الامبراطور قسطنطين المسيحية رسمياً، وكانت الاسكندرية ايضاً ونتيجة للتقاليد المصرية الفرعونية القديمة التي بقيت آثارها وانعكست على الكنيسة [1]، تحاول ان تنافس روما في الاولويّة، لكنها لم تكن تستطيع من ذلك لقوة روما، فكانت تعتبر نفسها على الأقل سيدة الشرق،"حتى على أنطاكية التي هي عاصمة الشرق بلا منازع آنذاك والتي كانت مصر جزء من ولاية أنطاكية إلى النصف الثاني من القرن الرابع"، علماً ان علاقة هذه الكراسي الثلاثة بعضها لم تكن في حكم أوتونومي (حكم ذاتي)، بل حكم أوتوكيفالي (حكم مستقل مطلق)، أي لم يكن لأحدها الآخر [2]،

---

[1] الأب يوسف الشماس المخلصي، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية ص 124.

[2] اغناطيو س زكا الأول عيواص، كنيسة أنطاكية السريانية عبر العصور ص23.

وكانت أنطاكية تشكو من تدخل الاثنتان في شؤونها، روما من الشمال والاسكندرية من الجنوب، لكن التنافس الرئيسي كان بين الاسكندرية وروما، فالاسكندرية كانت ترفض تسلط كرسي روما وتعاملها معها من منظور اعلى لأدنى، وهذا حقها الطبيعي بلا ادنى شك، ولكن ما هو غريب ان الاسكندرية كانت تعامل أنطاكية بنفس تعامل روما معها، أي من اعلى لأدنى، وكان التعامل والتداخل الكنسي بين أنطاكية والاسكندرية من الناحية العملية اكبر باعتبار ان الكنيستان هما شرقيتان اولاً، ولقربها الجغرافي ثانياً، وان مصر من الناحية السياسية كانت تابعة إلى أنطاكية كما ذكرنا ثالثاً، ولقرب الأماكن المقدسة في اورشليم التي هي تحت سلطة الكرسي الأنطاكي إلى سنة 451م من الاسكندرية رابعاً، وقد حاول مجمع نيقية ان يعالج هذه المشكلة اذ يقول قانونه السادس "فلتحفظ العادة القديمة، لأسقف الاسكندرية الرئاسة في مصر وليبيا والمدن الخمسة [1]، كما لأسقف روما الرئاسة على الكنائس المنضوية اليها، ولأسقف أنطاكية الرئاسة على من هم تحت سلطتهُ" علماً ان هذا التحديد للسلطة لم يكن جديداً اصلاً، بدليل انه يبدأ

---

[1] تقع المدن الخمسة في شمال افريقيا (ليبيا وجوارها) وهي: قورينا، أبولونيا، توخيريا يوسبريدس، بوطلمايوس، وحالياً هي: شحات، سوسة، توكره. بنغازي، طلميثة.

بعبارة "فلتحفظ العادة القديمة" ويبدو ان هذا القانون قد حدّ من تسلّط روما على الاسكندرية وأنطاكية نوعاً ما، لكنه لم يحد من تسلّط الاسكندرية ورغبتها في فرض هيمنتها على الشرق عموماً وعلى أنطاكية بالذات، حيث كانت الاسكندرية تتدخل في أنطاكية وفي القسطنطينية التي كانت بعيدة عنها جغرافياً، والتي كان معظم أساقفتها يُرسمون من قِبلْ البطريرك الأنطاكي قبل ان يصبح لها مكان الشرف في مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني 381م، حيث كانت القسطنطينية تمتعض جداً من تدخل الاسكندرية، فاضطر المجمع وفي قانونه الثاني ان يستعمل صيغة اقوى لردع التسلّط الاسكندري، يحدد فيها (وبالاسم) سلطة بابا الاسكندرية وأساقفته على مصر فقط، لذلك فقد كانت نتائج المجمع ثقيلة جداً على الاسكندرية، فثلاث قوانين من أربعة كانت ضد الاسكندرية، القانون الثاني الذي حدّد سلطتها، والثالث الذي اعتبر القسطنطينية روما الجديدة وأعطاها مكان الشرف، وبهذا ازداد منافس آخر للاسكندرية، علماً ان القانون الثالث لم يكن موجّهاً ضد روما بل ضد الاسكندرية [1]، والقانون الرابع الذي اعتبر رسامة مكسيموس الكلبي الذي رُسمَ بمساعدة بطرس الاسكندري رسامة باطلة.

---

[1] الأب جان كمبي، تاريخ الكنيسة مج 1ص133.

2: **السلطة الكنسيّة (اولويّة مار بطرس)**: وهي مسألة خلاف شديدة بين روما والاسكندرية، فكنيسة روما تَعتبر ان كرسيها رسولي لان مؤسسه هو رئيس الرسل مار بطرس، وعليه فالاسكندرية ليست كرسياً رسولياً تماماً مثل روما وأنطاكية، لان مؤسسه هو مار مرقس، وطبعاً ان كنيسة أنطاكية هي سيدة الموقف وبصورة مطلقة في هذا الموضوع بالنسبة للكنيستين معاً، لان الاثنتين تعترفان بان مار بطرس هو مؤسس كُرسيها وأول بطاركته.

وبالنسبة لكنيسة روما فالحقيقة التاريخية هي ان بطرس الرسول صُلبَ في روما سنة67م ودُفن هناك، ولهذا تَعتبر روما نفسها كرسياً رسولياً، لكن لا يوجد إثبات تاريخي بأن بطرس الرسول أسس كرسي وصار أسقفاً عليه كما في أنطاكية، ولهذا فان بولس الرسول يقول في رسالته إلى روما 15: 20 "وكنت حريصاً ان لا أُبشر حيث سمع الناس باسم المسيح لئلا أبني على أساس غيري".

أمّا كنيسة الاسكندرية فقد غاصت في التفسيرات الدينية لإيجاد تخريجات من هنا وهناك لتبرهن ان جميع الرسل متساوون في المقام، وان بطرس هو المتقدم بين الرسل فقط، وان المقصود من قول السيد المسيح لبطرس: انت الصخرة وعليك ابني كنيستي، هو ايمان بطرس فقط وليس بطرس شخصياً، وغيرها من هذه التفسيرات لإثبات ان كرسيها هو رسولي، وبذلك تتخلص من تلك العقدة لديها.

ولهذه الأسباب كان التنافس بين كنيستي روما والاسكندرية قائماً، ولان كنيسة أنطاكية تقع جغرافياً في الوسط، فانها كانت تتحمل مشاكل الاثنتين معاً.

فكنيسة روما كانت تريد فرض هيمنتها وأولويّتها على البقية، وعملياً، فقد لاحظنا كيف كان تدخّل الاباطرة الحكام شؤون الكنسية، أمّا ثقافياً فحدث ولا حرج، فنادراً ما يوجد كتاب تاريخي ديني غربي يخلو من مسألة إعطاء روما الأولية بين الكنائس.

وبالنسبة لكنيسة الاسكندرية فثقافياً هي مثل روما، ولكن بنبرة اخف قليلاً، أمّا عملياً فكانت هي ايضاً تريد ان تعطي لنفسها الأولية على الجميع، وبما انها لم تكن تسطيع مواجهة روما، فكانت تتدخل في أنطاكية والقسطنطينية [1]، ولكن عندما يحصل العكس كانت الاسكندرية ترفض ذلك، فعندما تدخّل يوحنا الذهبي الفم بطريرك القسطنطينية سنة 404م بقبول بعض المصريين الذين لديهم مشاكل مع بابا الاسكندرية ثاوفيلس، كَتَبَ ثاوفيلس إلى الذهبي

[1] يقول القس منسى يوحنا في كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ص207، وليس من ينكر ان للاسكندرية الأولية على الكراسي الأسقفية عامة، وكان كرسي روما يتقيد غيضاً وحسداً لتقدم كرسي الاسكندرية عليه لان الرئاسة الفعلية كان مصدرها الاسكندرية!.

الفم قائلاً: (إذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذي وضـــعه مجمع نيقية القاضي بعدم تدخل أسقف أو بطريرك في المسائل الـــتي لا تنحصر ضمن دائرة سلطته، فأرجوك ان تتطلع على هذا القانون حتى تريح نفسك من التعرض لي وتكف عن الصدام والجدال معي، أمّا إذا قضى الزمان بالمحاكمة فسوف يحاكمني أساقفة مصريون! لا أنت ولا غيرك! ممن يبعدون عني 75 يوماً سفراً للوصول اليـــنا!)، لكن ثاوفيلس نفسه ذهب بعد فترة قليلة إلى القـــسطنطينية وعقـــد بالاتفاق مع الامبراطورة افدوكسيا مجمعاً في مدينة خلقيدونية وفي مكان يدعى السنديانة، حكم فيه بحَرمَ ونفي القديس يوحنا الذهبي الفم بالرغم من معارضة مؤمني القسطنطينية الشديدة [1].

أمّا كنيسة أنطاكية، فلم تكن اولويّة مار بطرس قضيّة حساسة ومهمة جداً بالنسبة لها، بمعنى:" إذا كان بطرس متساوياً مع الرسل، فذاك حَسنْ، وإن كان هو اعلى من بقية الرسل، فهذا أحـــسنْ "، لان اولويّة بطرس كانت هي نقطة قوها التي تفتخر بها أمام الاثنتين معاً، بل كان الأنطاكيون يعتبرون ان اعترافهم بروما كرسيّاً بطرسيّاً هو كرماً منهم لها، حيث يقول يوحنا الذهبي الفم بهذا الخصوص:

---

[1] القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية ص129و150.

لأن امتياز مدينتنا على كل المدن قائم على اتخاذها من الأصل هامة الرسل معلماً، لأنه كان يجب ان يكون اول الرعاة في الرسل راعياً للمدينة التي دُعي فيها المسيحيون اولاً بهذا الاسم الشريف، ولكننا إذا اتخذناه معلماً لم نحتفظ به حتى النهاية بل تخلينا عنه لأجل مملكة روما، لكن إذا شئت فقل ان احتفظنا به دائماً، أجل اننا لم نمتلك جسد بطرس وإنما امتلكنا ايمان بطرس، فامتلكناهُ نفسه [1].

وبالنسبة لرد الأنطاكيون على الاسكندريين فكان قوياً، وقد لاحظنا الصيغة التي كان يكتب بها مار باسليوس إلى أثناسيوس[2].

---

[1] الأب متري هاجي اثناسيو، موسوعة بطريركية أنطاكية مج 1 ص 259و260.

[2] بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م الذي رفضته أنطاكية والاسكندرية، حاولت الكنيسة القبطية استمالة بعض اكليريوس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية لتبني تفسيراتها بشأن اولويّة مار بطرس، باعتبار ان الكنيستين اصبحتا في موقف واحد، وقد نجحت في ذلك إلى حد ما خاصة بعد عام 1965م الذي أعيدت فيه العلاقة مع الكنيسة القبطية بعد ان كانت شبه مقطوعة منذ القرن الثالث عشر، وهذا ايضاً هو من سمات فرض الهيمنة القبطية على الكنيسة السريانية، مع العلم ان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية تؤكد من خلال كتابات آبائها على ان بطرس الرسول هو زعيم ورئيس وهامة الرسل.

علماً ان الكنيستين تشتركان في رفض مجمع خلقيدونية فعلاً, لكنّ تفسيرات الآباء السريان تختلف قليلاً عن تفسيرات الأقباط، أي انها ليست متطابقة مئة بالمائة، وهذا دليل آخر على استقلالية كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية تماماً.

أمّا في الحالات التي كانت تتطلب حَرم أسقف أنطاكي مبتدع، كان الرد حازماً واقوى بكثير، فعندما تصدى بابا الاسكندرية ديوسقورس للمبتدعين الأنطاكيين، افتخر بكنيستهُ متذرعاً بسلطان مار مرقس مؤسس كنيستهُ، فردّ عليه ثيودوريطس أسقف قورش:

إن أنطاكية المدينة العظمى فيها كرسي الرسول بطرس الذي كان معلم مرقس وأول جمهور الرسل وهامتهم.

أمّا عندما قاوم البابا كيرلس الاسكندري ضلال نسطور المبتدع، فقد صرخ نسطور من على منبر الكنيسة بحَسرة قائلاً:

انظروا إن هذا المصري يحاربني بين كهنتي، حتى في وسط شعبي، أليس المصري هو العدو الدائم للقسطنطينية وأنطاكية؟ [1].

علماً انه كان باستطاعة نسطور وثيودوريطس وغيرهم، ان يعتزّوا بكنيستهم الأنطاكية السريانية أمام الهيمنة المصرية القبطية، وفي نفس الوقت ان يحافظوا على الايمان الأرثوذكسي الصحيح بدون الانحراف إلى بدع وضلالات غريبة، إذ ليس اعتزازهم بكنيستهم الأنطاكية السريانية مُبرراً لهم بالانحراف عن الايمان! [2].

---

[1] الأب يوسف الشماس المخلصي، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية ص 125.

[2] المؤلف.

مار ملاطيوس العظيم يفرض نفسه على العالم بعد الموت

عاش مار ملاطيوس وحضر إلى مجمع القسطنطينية ولم يكن له شركة كنسية مع روما والاسكندرية، ومن ناحية اخرى فان مجمع القسطنطينية قد قيل فيه الكثير، واُعتبر في البداية مجمعاً أنطاكياً محلّياً، ثم قبلته واعترفت به روما والاسكندرية واعتبرتاه مجمعاً مسكونياً كُرهاً أو طوعاً، وهذا ما تفخر به كنيسة أنطاكية في تاريخها إذ اصبح دستور ايمان هذا المجمع الكامل يُقرأ بصيغته في كل كنائس العالم إلى اليوم، حيث كان الجزء الأول منه قد وضِعَ في مجمع نيقية من: نؤمن بإله واحد إلى ليس لملكه انقضاء، وأضيف في هذا المجمع الجزء الثاني من: ونومن بالروح القدس إلى والحياة الجديدة في العالم الآتي، أمّا بالنسبة لمركز كنيسة أنطاكية فقد حقق القانون الثاني منه نصراً لأنطاكية العظيمة، حيث منع بصورة حازمة تدخل البقية في شؤونها وخاصة الاسكندرية.

لذلك فان مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة 381م، يعتبر مجمعاً أنطاكياً سريانياً بجدارة، استطاع ان يفرض قراراته على العالم اجمع من خلال مار ملاطيوس العظيم وابنائه الذين ثبّتوا الايمان المستقيم الصحيح وحملوا راية الكنيسة الأنطاكية السريانية من بعده.

أمّا بالنسبة لمار ملاطيوس العظيم فبعد وفاته تمّ انتخـــاب مـــار فلابيانوس خلفاً له، فأغـــاظ هـــذا الانتخـــاب كنيـــستي رومـــا والاسكندرية ولم تعترفا بشرعيته وبقيتا تعترف ببولينس، ثم تـــوفي بولينس سنة 388م، وقبل ان يموت رَسمَ افغاريوس خلفاً له خلافاً للقوانين الكنسية، ومع هذا فان روما والاسكندرية اعترفتا به ايضاً بل طفقت تساعداه وتحرضا الامبراطور ثيودسيوس على عزل مـــار فلابيانس فاستدعاه اليه، ولما لم يجد فيه علّة، سمحَ له بـــالرجوع إلى كرسيه، ثم استدعاه ثانيةً فقال له مار فلابيانوس بجرأة: (انني اُقـــيم لمحاكمتي اعدائي انفسهم الذين ينتقدون اعمالي وأنا راضٍ بحكمهم، أمّا إذا كان خصامهم بسبب الكرسي فسأعتزله وأعطه انت لمـــن تشاء) فدُهش الامبراطور من جرأته وأذنَ له بالعودة إلى كرسيه [1]، ثم استغاث افغاريوس بامبريوسيوس أسقف ميلانو لمساعدته، فدعا مار فلابيانوس نهاية سنة 391م المجيء إلى مدينة قابوا في ايطاليـــة لمقابلة افغاريوس، لكن مار فلابيانوس أبى الذهاب إلى هناك رافضاً ان يعاد النظر في هذا الموضوع مرة اخرى، فلجأ امبريوســـيوس إلى سيريقيوس بابا روما (384_399م) وألّحَ عليه بان يكتـــب إلى ثاوفيلس بابا الاسكندرية (385_412م)، فكتب الأول للثـــاني،

---

[1] اسحق ساكا ص147.

والتأم مجمع محلي في قيصرية فلسطين سنة 392م حاولتا فيه روما والاسكندرية الضغط على مار فلابيانوس للاعتراف بافغاريوس أو عقد الصلح بينهما كحد أدنى فلم تنجحا في ذلك، وكمحاولة اخيرة من ثاوفيلس الاسكندري، طَلبَ من مار فلابيانس ان يقبل الاكليريوس الذي رسمهم افغاريوس على الأقل، ولكن دون جدوى ايضاً، ونتيجة للأمر الواقع حيث كان المؤمنون قد التفّوا حول مار ملاطيوس وتلميذه من بعده، فقد اعترفت روما والاسكندرية مُجبرتين بالقديس الورع مار فلابيانوس ابن مار ملاطيوس الروحي، بطريركاً موحداً لكرسي أنطاكية الرسولي السرياني الأرثوذكسي (381_404م)، كما اقّرَ أساقفة مصر والغرب بعد وفاة مار ملاطيوس بقداسة سيرته بالرغم من موقفهم منه اثناء حياته [1].

أمّا افغاريوس فقد مات سنة 393م، وانضوت جماعتهُ فيما بعد تحت سلطة البطريرك مار الكسندروس (412_417م) ليتوحّد الجميع وينتهي بذلك الشقاق الأنطاكي.

وبذلك استطاع القديس مار ملاطيوس العظيم بايمانه وحكمته وحلمه وهمة ابنائه، ان يفرض نفسه على العالم بعد الموت.

---

[1] سويريوس يعقوب توما ص238.

أبناء القديس مار ملاطيوس العظيم

ما من شك بان مجمع نيقية ودستور ايمانه يعتبر هــو القاعــدة الرئيسية في تاريخ المسيحية، هذا امر معروف، فهذا المجمع ضــرب البدعة الآريوسية في الصميم ومع هذا فقد حــاول الآريوســيون الالتفاف حول ايمان نيقية بكل الوسائل وخاصة التلاعب بالكلمات اللاهوتيّة، وبعد هذا المجمع نشأ في عهد مار ملاطيوس جيل جديد من المدافعين عن الايمان سُمّي بالنيقاوين الجدد الذين اهــتم مــار ملاطيوس بتنشئتهم وأشهرهم، الآباء الكبادكيون الثلاثة أو الأقمار الثلاثة في سماء الكنيسة السريانية الأنطاكية وهم: باسليوس الكــبير واخوه غريغوريوس النوسي وغريغوريوس النزنيزي، ومعهم يوحنا الذهبي الفم، الذين كان لهم وحدهم الفضل في تــاريخ المــسيحية بإيجاد التفسيرات اللاهوتيّة الخاصة بالثالوث وشرح المسائل المعقدة كالتميّز بين الجوهر والأقنوم والمساواة..الخ، فإذا كان مجمع نيقية قد ضرب الآريوسية في الصميم فان مار ملاطيوس وابنائــه هــؤلاء ومعهم عدد من الأساقفة مثل: اوسابيوس السميساطي، كيرلــس الأورشليمي، إمفليوخس القوني وغيرهم، هم الذين ناضلوا في حماية الايمان المستقيم والكنيسة ووجّهوا الــضربة القاضــية والأخــيرة للآريوسية وما تشعب عنها من افكار وشيع، تُوّجتْ اخيراً بعقــد مجمع القسطنطينية وما صدر عنه من قرارات ايمانية ضد الآريوسيين

والبدع الأخرى، وقرارات إدارية تنهي الشقاق في كنيسة أنطاكية وتعترف ببطريركها الشرعي مار ملاطيوس العظيم الذي خَتم جهاده ولبى نداء الرب في المجمع.

باسليوس الكبير: 332_379م، ولد في كبادوكية (آسية الصغرى)، اخوه الصغير غريغوريوس أسقف نوسة، وأخوه الأصغر بطرس أسقف سبسطية، اخته مقرينة اشتهرت بالتقوى، رُسم عام 362م كاهنا لقيصرية، شيّد وترأس عدة اديرة، رسمه مار ملاطيوس سنة 370م أسقفاً عليها، قاوم الآريوسيين بشدة ونقض بدعة امونيوس في ثلاث كتب،كان خطيباً وكاتباً لاهوتياً باهراً، له عشرات المقالات في تفسير المزامير والروح القدس وغيرها، ذُكر ان له سبعة عجائب، كان مغرماً بكنيسته الأنطاكية وهو القائل القول المأثور "هل هناك اعظم من أنطاكية بين كنائس المسكونة، فإذا ما ساد التفاهم فيها عاد الوفاق والوئام إلى غيرها" وفي رسالة اخرى بعث بها إلى أثناسيوس بابا الاسكندرية قال "ما عسى أن يكون لكنائس الأرض شيء اكثر حيوية من أنطاكية".

غريغوريوس النوسي (النيَّصي): 335_394م، رسمه اخوه باسليوس أسقفاً لنوسة سنة 371م، من أساطين الأرثوذكسية، فيلسوف ولاهوتي بامتياز، حاول التوفيق بين الدين والعقل، في سنة 382م أُرسل لتنظيم بعض الكنائس العربية، له مؤلفات كثيرة جداً،

منها،الرسالة الرائعة 38 يميّز فيها بين الجوهر والأقنوم ومقالـــة في الروح القدس، وكتاب ضد هرطقة اونوميوس، ومديح لمار أفـــرام السرياني في33 صفحة، وتأبين مار ملاطيوس.

غريغوريوس النزينزي: 329_390م، ابن أسقف نزينزة، درس الفلسفة والمنطق، رسمه والده كاهناً سنة 361م، ورسمه باســـليوس أسقفاً سنة372م لسازميا، ثم حدثت له مشكلة في القسطنطينية مع مكسيموس الكلبي كما مر بنا، لُقّبَ بـــاللاهوتي لكثـــرة خطبـــه اللاهوتيّة الرنانة والتي لم يكن يسمعها المسيحيون فقط بل الهراطقة والوثنيون ايضاً بحيث لُقب ب"ديموستينوس المسيحي" كان بليغاً في الشعر والنثر، انجذب اليه كثير من المثقفين الغربيين على مدى الف سنة، له خطب في الميلاد، الدنح وغيرها، ورسائل ومقالات كثيرة.

يوحنا الذهبي الفم:345_407م، آية من آيات الزمان، أفصح الآباء لساناً، خطيباً مفوّهاً وأمير المنابر، لذلك لُقّبَ الذهبي الفـــم، ولد في أنطاكية ودرس اللغة والبيان على يـــد ليبـــانيوس الـــوثني، وانتزعه مار ملاطيوس منه ورسمه قارئاً سنة369م فقال ليبـــانيوس "كنت أُريد ان اختار يوحنا بعدي لكن المسيحيون سلبوه مـــني"، وكّلهُ مار ملاطيوس بالسهر على كنيسة أنطاكية عندما ســـافر إلى مجمع القسطنطينية، رسمه مار ملاطيوس شماساً سنة 378م، ورسمه البطريرك الأنطاكي فلابيانس كاهناً سنة 386م، وعندما ذاع صيته

رُسمَ بطريركاً للقسطنطينية سنة398م، فحَسدهُ بابا الاسكندرية ثاوفيلس (385_412م) واتهمه زوراً بستة وثلاثين تهمة لفقها فكره الساقط في مجمع البلوطة سنة 403م نُفيّ على اثرها [1]، له أكثر من خمسة وستين خطبة وله ليتورجية وتفاسير ورسائل ومقالات في التجسد والفداء وغيرها، أحبّ أنطاكية كثيراً وهو القائل "أنطاكية عاصمة العالم أجمع، إنها المدينة التي تفوّه البشر لأول مرة بلفظة مسيحي، ذلك الاسم العذب المحبب الموفور الكرامة، انه لشرف تصبو إليه كل مدينة على الأرض فلا تناله، حتى روما نفسها تعجز عن اعتناقه.

كيرلس الأورشليمي:315_386م، تثقف في العلوم اللاهوتيّة، رُسم كاهناً سنة 345م وأسقفاً على اورشليم سنة350م، نُفيّ ثلاث مرات آخرها مدة اثنتي عشرة سنة، حضر مجمع القسطنطينية، له مؤلفات لاهوتية كثيرة منها كتاب شرح قانون الايمان والعماد وأناشيد بيعيه وخطب لاهوتية وغيرها، أحبّ أنطاكية كثيراً، وهو القائل "يبدو لي ان الروح القدس إذ وهب المؤمنين الاسم الجديد، وإذ سكب الله روحه بغزارة في أنطاكية".

---

[1] سويريوس يعقوب توما ص297.

اوسابيوس السميساطي الشهيد: توفي سـنة379م، اشـتهر بتحمسه لايمان نيقية، رُسم أسقفاً لسميساط سنة 358م، وشارك في انتخاب مار ملاطيوس بطريركاً لأنطاكية سـنة 360م، وأُودِعَ عنده صك الانتخاب كما مر بنا، نُفيّ سـنة 374م، فارتـدى ملابس جندي متنكراً، واخذ يطوف الأبرشيات السريانية الأنطاكية ويرسم الأساقفة والكهنة والشمامسة فرسم ستة أساقفة، وعنـدما اراد إجلاس الأسقف الأخير "ماري" على كرسيه في ديليك، رجمته النساء الآريوسيات بالحجارة من على السطوح توفي على اثرهـا، ونُقل ودفن في سميساط في الكنيسة التي بناها هو سابقاً في احتفـال مهيب حيث طافوا به المدينة ثلاثة ايام حضره الاكليريوس السرياني واليوناني، سمّاه غريغوريوس النزينزي: المعترف، عمود الحق، مصباح البرية، سفير الحق ،الخ، هدى كثير من الوثنيين إلى المسيحية.

إمفليوخس القوني: ولد في كبادوكية سنة 343م، وهو ابن عم غريغوريوس النزينزي وخال باسليوس الكبير، اصـبح محاميـاً في القسطنطينية ثم تنسك، رسمه مار باسليوس سـنة 373م أسـقفاً لقونية وعنه اخذ علم اللاهوت والفقه الكنـسي، حـضر مجمـع القسطنطينية مع مار ملاطيوس وأقنع الامبراطور ثيودوسيوس بمنـع تجمع الهراطقة، له رسائل في لاهوت الروح القدس وخطـاب في تفسير الانجيل، توفي سنة 403م تقريباً.

قصيدة للقديس مار ملاطيوس العظيم

موفق نيسكو

يا أسقف المنافي وسراج الإيمان

يا شراع النجاة في سفينة السريان

موسى أنطاكية الحلّمُ هو عَصاكَ

وثوبك حمى الأعداء قبل الخلان

إن كان الاسمُ يموتُ بحاملهِ

فاسمك بقى لكل عصر وزمان

أبو الآباء بك الابناء تفتخر

وتحفرُ رسمك كلّ صوب ومكان

يا شهداً تحوم النحل حوله

فشهدك من رحيق الآس والريحان

يا قديساً انحنت هامة الملك له

فهامتك أعظم من هامة السلطان

سَقطتَّ في بهرة المجمع شهيداً

فطوبى لمن يسقط شهيد الايمان

يا عريساً كللته أنطاكية بحبها

وبنعشه زُفت كل طرق البلدان

يا مشيراً في يوم الشورى رَحل

فأحيا أقوال أرميا في الأحزان

فبكَ قد رأينا داوداً في مجده

وفيك قد تجلّت حكمة سليمان

يا أباً استقبلك الرسل بينهم

وبِكَ أُضيفَ إليهم رسولاً ثان

يا شمساً أنرتَ أنطاكية بفعلك

وضياءك وصل إلى كل عنوان

لم يكن نورك لأنطاكية وحدها

فَنور فعلك أنار القاصي والداني

صلاة للقديس مار ملاطيوس العظيم

لقد أظهرتْكَ أفعال الحق لرعيتك قانوناً للإيمان، وصورةً للوداعة، ومعلماً للامساك، ايها الأب رئيس الكهنة مار ملاطيوس، فلذلك أحرزتَ بالتواضع الرفعة وبالمسكنة الغنى، فتشفع إلى المسيح الإله أن يخلّص نفوسنا.

صلاة من نظم ثيوفانيس

من الصفات التي تسبغها الخدمة عليه، انه قد بلغ مرتبة التوهج، وسار سيرة الرسل فكان أصلب من الماس، متّقداً غيرة في الايمان،كما انه اجتاز الغيمة المضللة المخبأة جسدياً وتلألأ في الروح، وانه لما جاور الجَمال الأول مماثلاً بهاءه ومستنيراً بالعزة الإلهية، أمسى للكنيسة نوراً ثانياً ومنارة للمؤمنين المبادرين اليه [1].

وعن مواجهته للبدع (آريوس وبدعة إنكار الروح القدس): قد تمكّنت يا مار ملاطيوس من البدعة الخرفاء التي ألحقت بالكنيسة أضرارا جمّة، القديس، بشفافية روحك ونبلها، وبصلابة ايمانك وطهارتك ايها الأب القديس.

---

[1] بيطار ص87.

وعن مواجهته لبدعة مقدونيوس: ان مقدونيوس العاصي جزعَ هارباً من مجاهرتكَ الروحية، يا مماثل الملائكة مار ملاطيوس، ايها الحربة النارية للمسيح إلهنا، الذابحة لجميع الكفرَة والملحدين، لأجل ذلك نمدحكَ نحن محبيك بشوق، ونسارع متشفعين بـــك، ايهـــا الكوكب المنير في سماء الكنيسة.

الخاتمة

كانت هذه حياة القديس مار ملاطيوس الأنطاكي السرياني العظيم "موسى أنطاكية" بطريرك الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الرابع والعشرون 360_381م.

هذا القديس الذي زيّن بحياته سماء الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية المجيدة، عروس المسيح الشرقية وأم الكنائس التي ما فارقها الرب المسيح يوماً، بل كان حاضراً دائماً فيها من خلال قديسيه امثال مار ملاطيوس العظيم.

هذا البطريرك الذي أحبه ابنائه الأساقفة الذين عاصروه حباً، بحيث لم يُبقوا مجالاً للآخرين كي يشيدوا بهذا القديس الجليل، فقد استعملوا كل العبارة وكل الجمل، وبذلك لم يبقى لدينا سوى القول، ان سيرته هي التي تعلّمنا معاني جديدة في الحياة مقتدين بإيمانه وأعماله الجليلة.

فلتكن حياة البطريرك القديس مار ملاطيوس العظيم وإيمانه وأعماله وصلاته بركة للكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية المجيدة وابنائها المؤمنين.

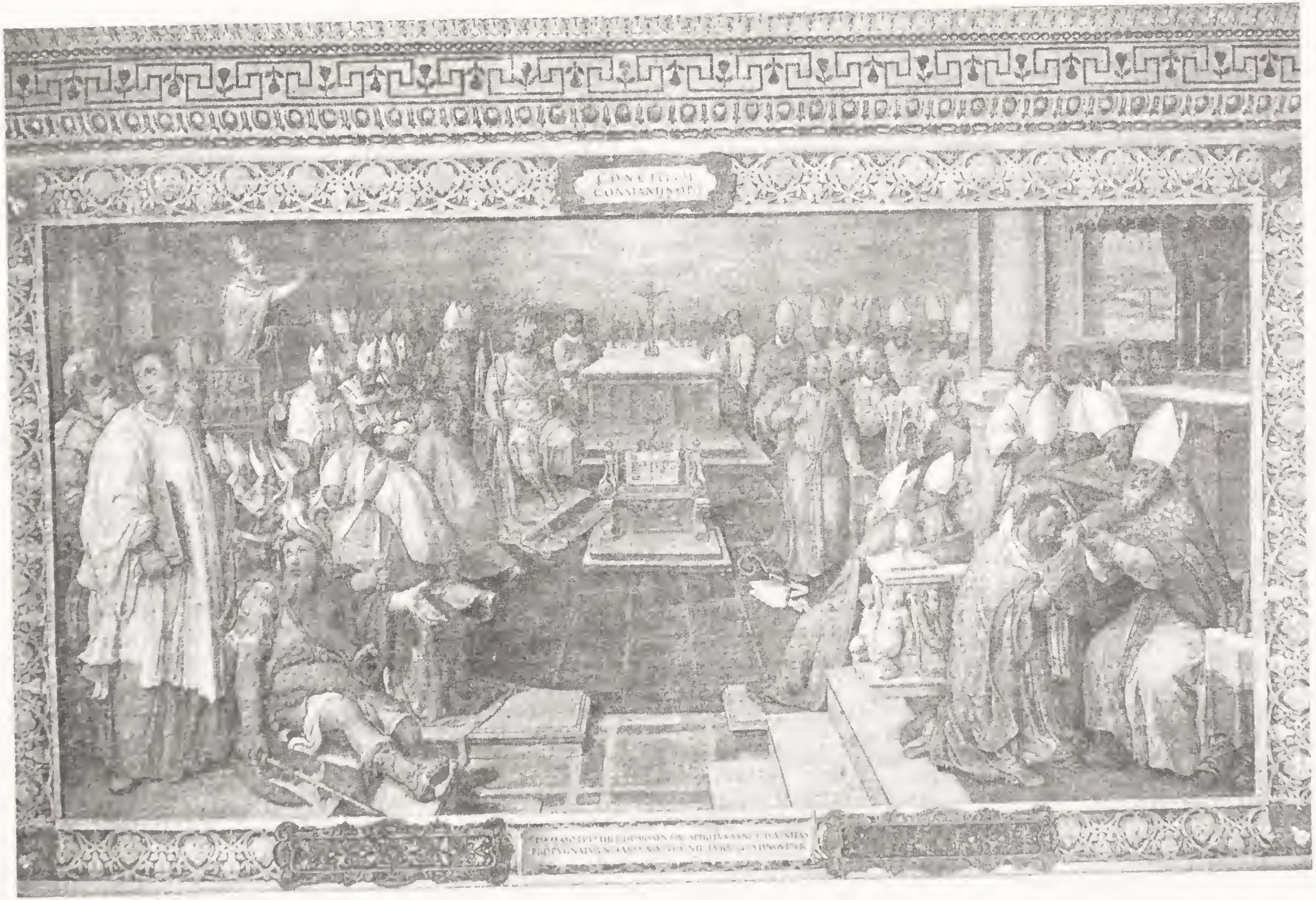

جدرانية من المكتبة الفاتيكانية – أواخر القرن السادس عشر

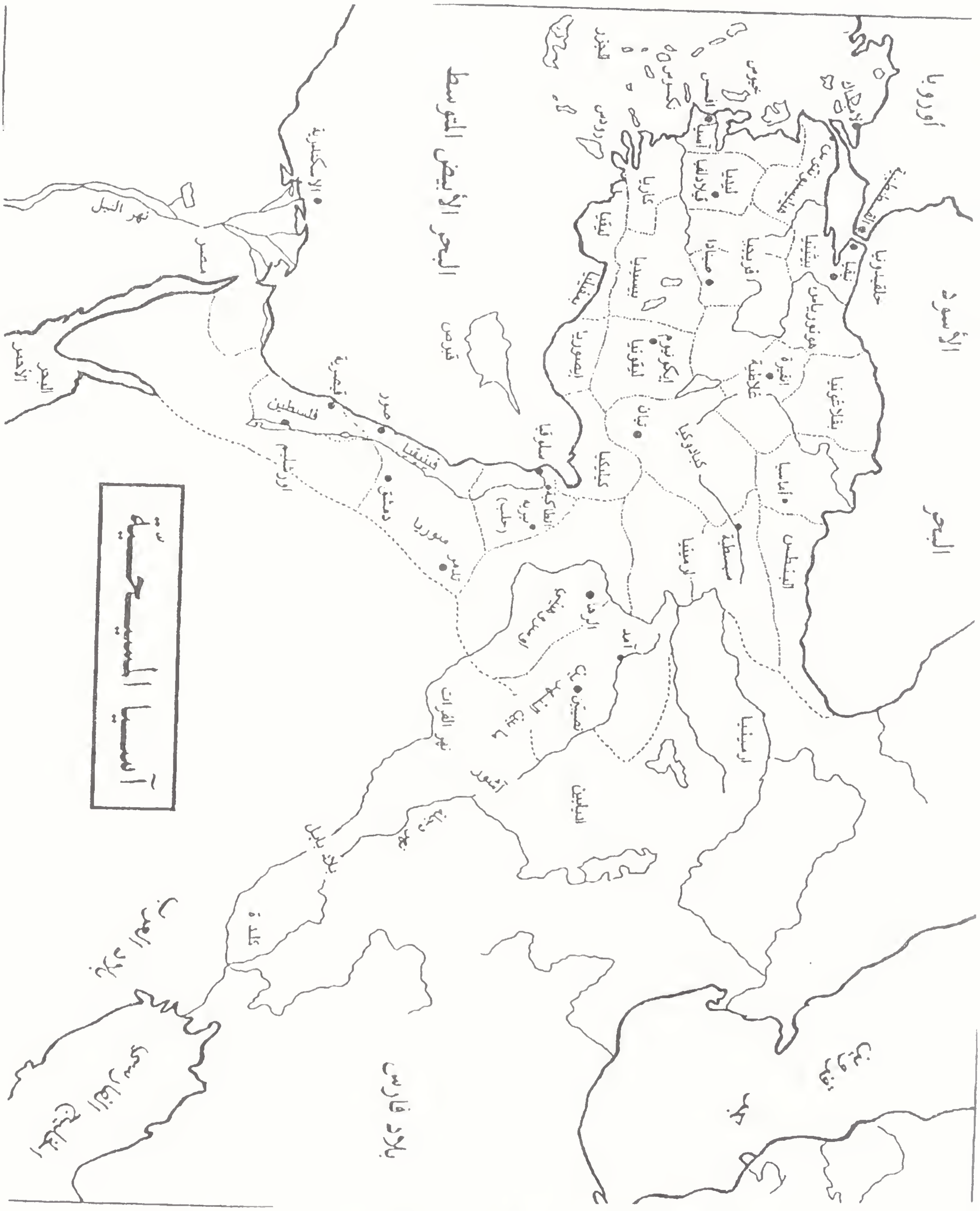

أهم أبرشيات الكرسي الأنطاكي السرياني في القرن الرابع الميلادي

المصادر

البطريرك ميخائيل السرياني الكبير، تاريخ مار ميخائيل الكبير ج1.

قداسة اغناطيوس أفرام برصوم الأول، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة المجلد الأول، كذلك اللؤلؤ المنثور.

سويريوس يعقوب توما، قداسة البطريرك السرياني فيما بعد، تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية الجزء الأول.

قداسة اغناطيوس زكا الأول عيواص، تاريخ الكنيسة السريانية.

المطران سويريوس اسحق ساكا، كنيستي السرياني.

المؤرخ والعلاّمة اليوناني خريسوستمس بادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، تعريب الأسقف استفانس حداد.

الأرشمندرنيت توما بيطار، السنكسار (سير القديسين) الجزء الثالث.

أسد رستم كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، الجزء الأول.

الأبوان ميشال أبرص وأنطوان عرب،المجمع المسكوني الثاني.

المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي والديني, الجزء الرابع.

متري هاجي اثناسيو، موسوعة بطريركية أنطاكية الجزء 1و2.

ميخائيل عساف، السنسكار، الجزء الأول.

حنانيا الياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي.

القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية.

متفرقات.

لشراء الكتاب عبر الأنترنت
www.neel wa furat.com

القديس مار ملاطيوس
السرياني العظيم

ܡܪܝ ܡܠܛܝܘܣ
ܪܒܐ ܣܘܪܝܝܐ

بطريرك
الكنيسة الأنطاكية
السريانية الأرثوذكسية

تأليف
موفق نيسكو

مكتبة السائح